

الإمام علي
وأسرار النفس البشرية

تأليف الموسوعي العراقي
الدكتور علي النشمي

الامـــام عـــلي
واسرار النفس البشرية

تأليف الموسوعي العراقي
الدكتور علي النشمي

١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م

رقم الايداع في دارالكتب والوثائق العراقية/بغداد ٢٨٩ لسنة ٢٠٠٧.
طبع في مكتب د. علي النشمي للاستشارات العلمية والثقافية/بغداد.

الاهداء

ما حسدتُ يوماً إلا ذاك الذي أكرمه الله أن يرعى امه في شيخوختها.

(الى روح أمي التي لم يُكرمني الله برعاية شيخوختها جيث ماتت وهي بكامل صحتها).

د.علي النشمي

الفهرس

القول	الصفحة

المقدمة

يعد علم النفس العلم الاصعب والاخطر بين علوم البشر لان هذا العلم متغير غير ثابت ولكل انسان عالمه النفسي الخاص به.

فالحديد يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة فهل سمع احدكم ان الحديد كان منزعجا هذا اليوم فلم يستجب للحرارة ويتمدد؟ فهذه طرفة اداعب فيها مخيلة القارئ النجيب.

ظهرت عشرات النظريات والفرضيات التي تعالج قضايا النفس البشرية وتحدد مكنوناتها وارهاصاتها وحاجاتها وكل نظرية تلغي وتسب ما قبلها.

ولكل نظرية شيئ من الصحة واخر من الخطأ والقصور.

فالصح جاء من خلال معرفة بعض مكنونات النفس البشرية ودراستها بشكل علمي صحيح والخطأ والقصور جاء من خلال عدم القدرة اطلاقا على فهم كل محركات

ونوازع الانسان الطبيعي فما بالك بمحركات ونـوازع الانـسان غير الطبيعي، وكل واحد منا يحمل في نفسه نزقا غير طبيعي قد يتضخم عند هذا الانسان ويضعف عند غيره وقد يبرز اليوم في نفس الانسان ويخفت في اليوم القادم هكذا هو الانسان.

اما ابو الحسن ابن مدرسـة رسـول الله وبـاب مدينـة علمه، حيث قال الرسول انا مدينة العلم وعلي بابها.

اي ان علم الرسول هو علم الله وهو علم الهمه الله بـه الهاما وليس دراسة او تجربة وعلي هو بوابة هذا العلم الالهـي المحمدي.

لذلك فان قدرة ابي الحسن على سـبر اغـوار الـنفس البشرية تختلف اختلافا مطلقا وجوهريا عن قدرة كل البشر على الارض بعد رسول الله لانه ابن مدرسة رسـول الله التـي هـي مدرسة الله.

فما يحس به ابو الحسن من النفس البشرية وما تعانيـه وما تريده وما يخيفها وما يسعدها وما يجزعها وما يرفعها وما يضعها فهذا الاحساس احساس صادق دقيق علمي لا يمكن ابـدا ان يتوصل اليه غيره من علماء النفس.

لو جمعنا كل عباقرة العالم وحكمائه وافذاذه و علمائه ومثقفيه فلن يكونوا ابدا وبلا تعصب و لا تبجح بمستوى ما قدمه الامام علي للانسانية.

اننا هنا لا نبالغ بحبيبنا وسيدنا الامام علي ولكننا نؤمن بان قدرة الله ليست لها حدود وآيات الله لا يمكن ان نحسها بعقولنا البسيطة، فمعجزة النبوة الالهية تجعلنا نؤمن بان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعطي لبعض البشر الاستثنائيين القدرة الخاصة التي يحقق فيها ما يأمر به الله وما يريده على الارض ولكن بشرط ان يأتي ذلك من قبس النبوة الاعجازي القادم من الله.

علي هنا هو شعاع من تلك النبوة المحمدية فقد غرس الرسول في نفسه ما لم يعطي لبشر غيره فهو ابنه وربيبه وحبيبه واخوه و منزلته الى الرسول كمنزلة هارون لموسى كما قال الرسول ذلك.

لذلك عندما نحكم ونقيم ابو الحسن فاننا نقيمه خارج المعايير البشرية فهو استثناء بشري قادم من استثنائية مدرسة الرسول والنبوة فما يقوله غير طبيعي واستثنائي ودقيق وحكيم وعلمي و موضوعي

ان الله وضع النبوة في محمد (ص) ووضع الحكمـــة فـــي ابـــي الحسن (ع).

قال الامام علي (ع) (أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر الا ويده بيد الله يرفعه).

في هذا القول العلوي الجميل عبرة وتوجيه فهي تأكيد على توقير ذوي المرؤات.

فهؤلاء النفر من الناس امتلكوا صفة نادرة وضعها الله فيهم كي يكونوا وسيلته وطريقة لمساعدة بني الانسان.

فالله لا يرسل ملائكة الى البشر ليساعدوهم بل يحنن قلوب بعض الناس عليهم ليسهلوا لهم امورهم.

هؤلاء هم ذوي المرؤات امتلكوا صفة اخرى تعبر عنهم وهي امتلاكهم لقلب كبير وعاطفة انسانية جياشة وكرم في الخلق لا تجده لدى كل الناس فتجمعت هذه الصفات وجعلت منهم اناسا امتلكوا المروءه والانسانية في تعاونهم مع الاخرين.

فصاحب المروءه لا يكون بخيلا ابدا فهو كريم بطبعه وصاحب المروءة شجاع في شيمه ولا يمكنه ان يكون جبانا فالمروءه والجبن لا يجتمعان ابدا.

صاحب المروءه غلب نفسه وغرائزه وكبرياءه وعنجهيته وشراسته وعندما روض هذه الصفات امتلك هذه المروءه.

فهؤلاء الناس الذين اوجدهم الله كأداة له على الارض كي يكونوا عونا لنا ولكل المستضعفين في الارض.

فعلينا ان نقيل عثراتهم ولا نبالغ بزلاتهم ونساعدهم على تخطي هذه العثرات ونسيان تلك الزلات تعيد الى هؤلاء الناس توازنهم النفسي والحياتي ليظلوا على منوالهم السابق وعلى صفتهم الدائمة الا وهي المروءة.

اما لو بالغ البعض بزلاتهم وركز على عثراتهم فان هذا الشيء سيقتل فيهم المروءه وسبيل المعروف وسيخلق في نفوسهم حقدا على الاخرين بعد ان كان حبا فطريا على الناس جعلهم يحملون مروءة انسانية في التعامل مع الاخرين.

كما كان اصحاب المروءات يد الله في الارض فان الله لن يتخلى عنهم وسيساندهم في عثراتهم ويغفر لهم ويصلح حالهم باسرع ما يفعله الله مع غيرهم من البشر الذين فقدوا المروءة.

ان وقوفنا معهم واقالة عثراتهم يعني وقوفنا مع الله فيد الله قبلنا ستكون ممدودة اليهم وبذلك سيبارك لنا الله فعلنا معهم وسيكون تصرفنا معهم تعبيرا عن ايماننا بالله وخضعونا له وتنفيذنا لاوامره.

لان تقوية هذه الاعمدة الانسانية ما هو الا زيادة في صلابة اعمدة المجتمع وقوة للدين والحياة.

قال الإمام علي "ع" (أتق شر من أحسنت إليه).

كل كلام الإمام علي "ع" ينبض بالعظمة والإيمان والبلاغة وكله نابع من مدرسة الرسول الكريم "ص" التي تخرج فيها الإمام علي "ع".

فكما قال الرسول ص (انا مدينة العلم وعلي بابها) فكلام الامام علي "ع" خير تعبير عن الله والرسول "ص".

القول العلوي العظيم امتلك فلسفة خاصة به بل انه تعبير صادق عن عمق ثقافة الامام علي "ع" ومعرفته بالنفس البشرية وقد أسيء فهم هذا الحديث وفسر تفسيرات خاطئة ولم تزل هذه التفسيرات سائدة لحد الان.

فقد أستغل البعض هذه المقولة استغلالا سيئا في الابتعاد عن الخير وفي ايذاء من احسنا اليهم او اصبح البعض يستغل هذا القول كشعار يريد منه اخضاع الاخرين لرغباتهم واهوائهم ومكائدهم كنوع من رد الجميل الذي قدموه لهم وان امتنعوا عن تلبيته هذه الرغبات السيئة خوفا من الله فينعتهم البعض السيء بهذه المقولة كتعبير عن عدم وفائهم لما قدموه لهم من السابق اما حقيقة هذه المقولة الرائعة فهي وكما افهمها انا شخصيا الاتي:

ان قول الامام علي "ع" اتق شر من احسنت اليه، لاتعني ابدا اطلاقا ان من نحسن اليهم علينا ان نكون حذرين منهم.

فهذا فهم خاطئء جدا لما قصده الامام علي"ع".

فالمقصود ان الناس الذين نحسن اليهم كانوا بحاجة ماسة لاحساننا وقد يكون الاحسان ماديا او معنويا والاحسان هو فعل يقوم به شخص متفضل لشخص محتاج وبذلك تكون عملية الاحسان بين شخصين في مرتبتين متناقضتين.

فالمحسن شخص متمكن والمحسن اليه شخص ضعيف وعندما تنتهي عملية الاحسان المادية او المعنوية

فان الشخص المحسن اليه سيكون دائما في حالة انكسار نفسي امام الشخص الذي احسن اليه سابقا وكلما ارتفع في الحياة ماديا او معنويا فانه سيحس بالانكسار امامه حتى لو اصبح هذا المحسن اليه في المستقبل اكبر منزلة واكثر مالا من ذلك الشخص الذي احسن اليه سابقا.

هذا الشعور بالانكسار اتجاه الشخص المحسن سيجعل المحسن اليه يتمنى ان يرد اليه احسانه وبما ان الشخص المحسن سابقا لايطلب عونا او مالا نظير ما قام به في السابق فان الشخص المحسن اليه سيظل يتمنى هذا الطلب.

بذلك سيظل متابعا لهذا الشخص المحسن عله يجد عنده زلة مادية او معنوية كي يستدعيه ليقدم له هذا العون ولكي يضعه بنفس الحالة التي كان هو فيها في السابق وعند ذلك سيشعر بالتوازن النفسي والرضا عن النفس والتخلص من ذلك الشعور السابق بالقصور والنقيصة امام هذا الشخص الذي احسن اليه.

قد يمتلك البعض خلقا سيئا وبذلك سيكون شعوره بالنقيصة امام الشخص الذي احسن اليه سابقا دافعا له في ان يتمنى ان يقع الشخص الذي احسن اليه سابقا في اشكال مادي او قانوني او معنوي وعند ذلك ياتي ليقدم له العون وهو في حال افضل منه وقد يسعى هذا النفر السيء الى زيادة المشاكل التي يقع فيها المحسن لكي ياتي ويقدم له العون لتخليصه من مشكلة كبيرة جدا ليثبت له ان فعله في السابق كان فعلا بسيطا وان ما يقوم به الان له فعل عظيم اكثر بكثيرمن تلك المساعدة التي قدمها له في السابق وان لم يجد هذا النفر السيء مشكلة لذلك المحسن سيخلق له مشكلة قانونية او اجتماعية او مالية لكي يراه في نفس الموقف الذي كان هو فيه.

ان الشعور بالدونية والنقيصة تجعل الانسان يخلق اشياء كثيرة كي يتخلص من هذا الشعور خصوصا عند اولئك الناس الذين تسلقوا المناصب الحياتية او الرسمية او المالية بسرعة فائقة رغم كونهم لا يملكون مواهب بل كانوا من اراذل الناس قبل فترة وجيزة وقد شاهدهم الكثير في حالات ومواقف مخجلة وقد ساعدهم الكثير واحسن اليهم في هذه المواقف.

فان هذا النوع من الناس بالذات سيتمنى لكل الذين ساعدوه ان يكونوا في مواقف مخجلة طالبين العون منه وان لم يقعوا فانه سيسعى لايقاعهم لتخلصا من عقدته النفسية التي لازمته عندما تسلق سلم الحياة بلا حق وبلا موهبة.

ان الامام علي (ع) يقصد هذا النوع من البشر اولا والذين يجب ان نكون حذرين منهم لانهم في حالة نفسية شرسة تتمنى لنا السوء كي تتخلص من عقدها.

كما ان في قوله ايضاح للشعور الذين ينتاب الناس عندما يكونون في حالة العون والعوز وهذا الشعور يمكن اضعافه او اذابته بحسن تعامل المحسن لمن احسن اليه طيلة الوقت الذي ياتي بعد الاحسان كي لا يحس المحسن اليه ان هذا الاحسان قد جعل المحسن ينظر اليه نظرة استصغار واحتقار.

بهذا فقط يتخلص المحسن اليه من عقدة الشعور بالدونية امام المحسن ولكن هذا لا ينطبق على سيء الخلق او اولئك الذين يتسلقون السلم الحياتي بطرق غير شرعية.

فهؤلاء الناس لو كنت اكرم الناس معهم فانهم سيظلون يتمنون لك الانكسار والذلة حتى يروك بحال هم كانوا فيه قبل فترة ليتخلصو من عقدهم كما اسلفنا وهذا ما يقصده الامام علي (ع) بمقولته (اتق شر من احسنت اليه).

قال الامام علي "ع" لابنه الحسن "ع": يابني احفظ عني اربعا واربعا لايضرك ما عملت معهن اغنى الغنى العقل، واكبر الفقر الحمق. واوحش الوحشية العجب. واكرم الحسب حسن الخلق. يابني اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك. واياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك احوج ما تكون اليه. واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه. واياك مصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب.

في هذه الحكم العلوية الرائعة ثناء وتوضيح على بعض الصفات الانسانية الجميلة وتقابلها صفات انسانية سيئة تجر على صاحبها وعلى من صاحب صاحبها الويل والثبور.

فالامام علي "ع" يحدد الغنى بالعقل وليس الغنى بالمال.

فالمال بدون عقل شيء مرفوض وسرعان ما يتلاش هذا المال ويذهب بصاحبه في صفاقة الدنيا وخسارة الاخرة.

اما العقل فيجلب لصاحبه مال الدنيا واحترام الناس وهناء العيش ومغفرة الله والحصول على ثوابه في الدنيا واحترام الاخرة

كذلك يزيل العقل من صاحبه المشاكل او يعطيه القدرة على التخلص منها متى وقع فيها وبذلك يكون آمنا سعيدا مرضيا في دنياه.

بينما مالك المال وفاقد العقل ينتهي به الحـــال كلمـــا وقـــع بمشكلة واجهته فانه ينتقل الى مشكلة اخرى حتى يؤدي به المطاف الى الانحراف او فقدان المال نفسه.

اما الفقر الحقيقي في نظر الامام علي "ع" فهو الانسان الذي فقد اتزانه وكياسته وعقله.

فالاحمق سريع الغضب كثير الوقوع بالزلل محاط بالمـــشاكل والكارهين وهذا الانسان لن يكون سعيدا حتى لو كان غنيا.

فماله لن ينفعه في ايقاف حمقه وتقليل مشاكله وفي تخفيـــف حقد الناس وكراهيتهم اليه.

اما العجب فهو اوحش الوحشة فالانسان المغـــرور يعـــيش معجبا بنفسه وذاته ولايرى في الاخرين خلقـــا او جمـــالا او شـــيئا يستحق الاحترام.

بذلك سيعيش متعاليا متعجرفا مكروها بين النـــاس والنـــاس بالمقابل سيبتعدون عنه ويرفضونه تبعا لرفضه لهم.

هذه الحالة ستضع الانسان في عزلة تامة وفي حبس مستمر

هذا الحبس لن يكون حبسا شبيها بالسجن فهـو حـبس جـسدي ونفسي.

فالناس مبتعدون عنه ورافضوه وهو مبتعد عنهم ورافضهم وبذلك سيعيش غريبا مستوحشا بين الناس فهذا هو اوحش الوحشة.

أما اكرم الحسب فهو حسن الخلق.

فالانسان الذي يملك حسبا واصلا عظيمين ولا يملك خلقا فان الناس لن يتجاوزوا سوء خلقه احتراما لـحسبه ونسبه.

ولكن من امتلك حسن الخلق ولم يملك الحسب والنسب فـان الناس ينسون ويتجاهلون حسبه ونسبه تبعا لحسن خلقه.

فايهما افضل واكثر ثباتا واكثر تأثيرا واكثر فائدة حسن الخلق ام حسن الحسب؟

فالجواب هنا بلا تردد هو حسن الخلق فانـه يعوضـك عـن حسن النسب.

اما الاحمق فان الامام"ع" يحذرنا تحذيرا كبيرا من مـصادقة الاحمق او من التقرب منه.

فالاحمق متسرع منفعل متأزم متهور اهوج مبـالغ متـشدد

وهذا النوع لن ينفعك بقربه اليك.

فانه سيزيد من مشاكلك ويضاعف من مشاكلك الصغيرة وان تدخل فان تدخله سيزيد الطين بلة وحلوله متسرعة هوجاء حمقـــاء يصعب تلافي او تجاوز نتائجها.

قد يكون بنية طيبة معك ولكن اسلوبه في حل مشاكلك اسلوب خاطئ عنيف متسرع سيضعك في الحرج وفي الازمة وفي طريـــق لاعودة فيه ولا اصلاح .

لذلك يحذرنا الامام علي"ع" من مصادقة الاحمق.

كذلك يحذرنا الامام "ع" من البخيل.

هذا الانسان يملك صفة سيئة لانها تجعل هذا الصديق فـــي حالة غير نافعة فهو لن يتدخل لصالحك لو كان هـــذا التـــدخل فيـــه صرف مادي او موقف مادي وان شاهد نفسه مجبـــرا علـــى اتخـــاذ موقف مادي فانه يصور لك الامور بصورة مخالفة لحقيقتها كي تتأزم الامور ولا يضطر هو لتقديم بعض المال اليك.

فانه يفسر الامور حسب قدرته على دفع المـــال فلـــو كـــان الموقف بعيدا عن دفع المال فتراه يقرب اليك هذا الموقف حتى لـــو كان يغضبك ويبعد لك موقفا فيه دفع للمال من قبله حتى لو كان هذا الموقف فيه نفع لك.

ان البخيل يحجب عنك المال في اكثر لحظاتك حاجة للمال كما انه كثير الابتعاد عن المواقف التي فيها موقف مادي.

فانك تراه فجأة بعيدا عنك وانت بأمس الحاجة اليه وابتعاده يكمن في خوفه ان يقع في مأزق يضطره لدفع المال وهذا بحد ذاته تخلي عن المسؤولية التي نحن بأمس الحاجة اليها.

اما الفاجر فيحذرنا الامام علي "ع" من مصادقته.

فهذا الفاجر لايفكر الا بغرائزه وملذاته فاللذة والسكر والعربدة هما هدفه السامي ولو شاهد هذا الفاجر ان وجودك يقف حجر عثرة امام وصوله الى النساء او الخمر فانه يعرضك لاقبح المواقف واخطرها بمجرد حصوله على الخمرة والنساء.

كثيرا من الرجال شاهدهم البعض في مواقف مخجلة او قعت اصحابهم بخطير الامور لان هؤلاء الاصحاب وقفوا حائلا بين هذا الفاجر وبين حصوله على اللذة.

فالفاجر يمكنه ان يبيعك ويشتريك تبعا لحاجته لتلك الملذات.

فهذا نوع من الرجال لايملك قيما عليا تتحكم به وتسيره وتشذب اخلاقه وتحركاته.

بل ان قيمة العليا هي اللذة وما دامت هي كذلك فانت شيء

ليس بمهم امام هذه القيمة العليا وبذلك يكون علـــى اســتعداد تــام ليضعك في مواقف خطرة من اجل اهداف تافهة.

اما الكذاب فهو واحد من السيئين الذين حذرنا منهم الامــام علي"ع" .

فالكذاب شيء غير واقعي وغير حقيقي وغير صادق.

فلن يكون معك نافعا وشريفا لو شاركك بالعمل ولــن يكــون معك صادقا وواضحا عندما يريد ان يأخذ شيئا منك او يبعد عنك شيئا هو طامع فيه.

فالكذاب هو ذلك الانسان الذي لايتعامل بالحقيقة والصدق بل هو يتلاعب بالحقيقة والصدق ابعادا او تقريبا او تضخيميا اوتصغيرا حسب حاجته.

فيبعد عنك ما يريد هو وانت بامس الحاجة اليه ويقرب اليك ما لايريده وانت لست طامعا به فالكذاب انسان يستغل لسانه بلا قــيم ولا مبادئ بل انه يسخر كل شيء من اجل مصلحته واهدافه بلا رادع اخلاقي.

قال الامام علي "ع" (احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع).

في هذا القول العلوي الرائع توجيه واضح بصيغة التحذير المبطن وهذا التحذير والتوجيه نابع من فهم عظيم لطبيعة الانسان ونوازعه وقدراته التي نمت وتطورت وتغذت ضمن أطار اجتماعي وطبقي.

فهذه الاطر الاجتماعية تخلق جوا نفسيا يتغذى من المكانة الاقتصادية وايضا مما يكنه المجتمع لهذه المكانة الاقتصادية.

ان تأكيد الامام علي (ع) على منزلة الكريم وردود افعاله جاءت تبعا للمقدمة التي نوهنا عنها اعلاه.

فالكريم ليس فقط ذلك الانسان الذي يكرم الناس بماله فالكريم هنا هو كل انسان امتلك المكانة الكريمة وهذه المكانة قد تكون موقعا اجتماعيا او موقعا اقتصاديا او موقعا دينيا.

فهذه المواقع تسمى بالمواقع الكريمة لو كان صاحبها قد عبر عنها بشكل يتفق مع موقعه العالي في المنزلة مع الناس فهذا العلو يجب ان يرافقه علو في النفس وعلو في المكانة وعلو في

التصرف وفي العقلية وفي القرار والا لما سمي هذا الموقع بالموقع الكريم ان لم يكن هذا الكريم كريما.

آن تعود هذا الانسان الكريم على موقعه الذي تحدثنا عنه وكيفية تعامل الناس معه واحترامهم له تبعا لاحترامه لموقعه ومكانته سيكون هذا الكريم قد شذب نفسه من الزلل واحاط شخصه بالكرامة فلا يحاول عمل عمل او قول يتعارض مع ما تحمله له الناس من تصور لذلك يبدأ هذا الكريم قياس الامور بقياسات موضوعية ولا تكون ردود افعاله آنية متسرعة.

فان واجه الخطر والعداوة فلا يرد عليها بشكل مستعجل عنيف وان جاع هذا الكريم وهذا هو بيت القصيد فجوعه لن يكون جوعا جسديا بل ان جوعه سيأخذ أطرا فلسفية واعتبارية غير محدودة.

فهذا الكريم يظل في نفسه امتلاك ا لحق والمكانة والمنزلة وقد تأكد هذا الشعور من خلال اعماله السابقة وما اكده له الناس في مشاعرهم واقوالهم وافعالهم اتجاهه.

هنا سيحس الكريم أن جوعه انما هو جوع لكل الناس وهذا الجوع هو خرق في نظره للعدالة الانسانية والمكانة الطبيعية وللنظم الطيبة في المجتمع التي كان يمثلها.

لهذا فانه سينتفض انتفاضة هائلة متصورا انما هذه

الانتفاضة ستعيد الامان الاجتماعي والمكانة الطبيعية للحياة وان غضبه . تعبير عن رغبة الناس وحاجاتهم وما هو ضروري لهم في حياتهم وستكون انتفاضة ذات طابع عنيف واجتماعي وفكري سيحاول من خلالها اقناع الناس واحتوائهم في ضرورة الثورة والتمرد على كل شيء قائم لان هذا الوضع الحالي قد جعله جائعا وجوعه في نظره انما هو جوع للناس وتغيير لنمط المجتمع الطبيعي.

لذلك فان كثيرا من الافكار الفلسفية والسياسية والثورية ستتسيد غضب الكريم اذا جاع بعد آن يحول جوعه الى ثورة جماهيرية فكرية عارمة.

آن الكريم الذي يقصده الامام علي (ع) يختلف في مكانته ومنزلته وتأثيره من شخص لاخر فلو كان كريما محدود المنزله والمكانة والتأثير فان غضبه سيكون محدودا .

اما الكريم صاحب النفوذ والمنزلة الهائلة فان غضبه سيكون شاملا عارما.

اما الجانب الاخر الذي يحذر منه الامام علي (ع) من جوع الكريم هو ان هذا الانسان كان مترفا ومتعودا على النعم والترف.

فالطعام ياتي اليه سهلا متنوعا كريما وبذلك اعتاد عليه اما الفقير فان طعامه بسيط وصعب المنال.

لذلك سيكون جوع الكريم غريبا شاذا وجوع الفقير اعتياديا وتأثير الجوع على الفقير سيكون تأثيرا بسيطا اما تأثير جوع الكريم فانه كبير وهذا شيء قد يجعله بحالة نفسية تحفزه للقيام باي شيء وممارسة اي انحراف اجتماعي او سياسي او ديني لكي يحصل على ما كان يحصل عليه.

هذه الحالة من الانحراف الشديد تقع للبعض الذين كانت لديهم منزلة كبيرة ولم يكونوا يملكون خلقا كريما فجوعهم هنا سبب لسقوطهم المدوي نحو الرذائل والموبقات والاعمال السيئة.

كما انهم سيبررون لانفسهم فعل كل الاعمال ما دامت هذه الاعمال تحقق لهم ما اعتادوا عليه من طعام ومنزلة ومكانة وموقع نفسي.

إن انحراف البشر الاخلاقي والاجتماعي يعتمد على الدوافع والاسباب لهذا الانحراف.

فكلما كان الدافع قويا اصبح الانحراف ممكنا ودوافع الكريم الجائع الذي لا يملك قيما ستكون دوافع قوية جدا نحو الانحراف.

فالانسان في طبعه يسعى للحصول على الطعام الجيد والملبس الجيد والمسكن الجيد وهذه كلها كانت لدى الكريم والان فقدها في ليلة وضحاها وبذلك سيكون هدفه اعادتها بكل وسيلة ممكنة او غير ممكنة بغض النظر عن شرعيتها وقانونيتها.

لهذا حذر الامام علي (ع) من جوع الكريم .

اما الجزء الثاني من قول الامام علي (ع) هو التحذير من شبع اللئيم

فاللئيم هو ذلك الانسان الناكر الجميل الناكث الوعد غير الحافظ للامانة والمتسقط لاخطاء الاخرين وكلها صفات ينسبها هو الى غيره ولكن اللئيم يحمل كل هذه الصفات ويضيف اليها طابعة الخاص الا وهو اللئم.

آن اللئم صفة دميمة قبيحة قذرة فاللئيم يضرب بقوة ويغدر بقسوة كلما امتلك صغيرة او كبيرة من الاخطاء والنواقص عند الاخرين وان لم يجدها فانه يتصورها في الاخرين كي يمارس لؤمه فيهم من خلالها.

ان اللئيم انسان يحس في نفسه الوضاعة والضعف وهذا الاحساس يجعله ساعيا نحو اسقاط الاخرين او مشاهدتهم في سقطه معينة كي يقلل من قيمتهم ومنزلتهم امامه وامام الاخرين.

فاللئيم يظن ان كمال الاخرين نقص عنده ونقصه كمال لهم وتبعا لهذه الصفات الذميمة فان اللئيم اذا شبع من منزله او موقع او مال او جاه فان لؤمه لن يزول لانها صفة دائمة ومتأصلة فيه بل انه سيمتلك اداة او ادوات جديدة في تحقيق لؤمه.

فذلك هو طبعه كالعقرب يلدغ حتى لمن يحسن اليه وينقذه من النار فذلك خلقه واللئيم كذلك يزداد ضرره وخطره كلما امتلك قدرة اكبر على تنفيذ لؤمه.

فعندما كان هذا اللئيم فقيرا جائعا لم يكن يملك شيء لايذاء الناس سوى اخطائهم التي ارتكبوها وقدرته المحدودة على النيل منهم اما الان فانه لن يحتاج ان يقع الاخرين بالخطأ فهو قادر على ايقاعهم بهذا الخطأ بالاضافة الى امتلاكه اسلحة حديدة في تنفيذ لؤمه.

ان اللئيم انسان مريض نفسيا واجتماعيا وهذا المرض لا يزول بتغيير المنزلة الاجتماعية او الاقتصادية بل ان هذا التغيير سيكون سببا قي زيادة هذا المرض وانتشاره في جسده وعقله فالفقر والجوع قد يشغلان الانسان عن تحقيق مآربة ونوازعه السيئة ولكن الشبع سيعطية المجال الاوسع والمساحة الاكبر لتنفيذ لؤمه.

ان اللئيم لا ينسى عداوته ويبطن للاخرين اخطاءهم الصغيرة حتى وان كانت غير مقصوده.

فعندما يكون هذا النوع من البشر فقيرا فان حقده يبقى دفينا في قلبه لعدم قدرته الواسعة على تنفيذ هذا الحقد وبذلك سيكون هذا الحقد المتراكم في الليئم سببا في ايذائه نفسيا وايضا سببا في استمرار لؤمه.

اما اذا شبع وتمكن فانه سيخرج كل ضغائنه واحقاده تجـاه الاخرين لينفذها بكل قسوة لانه يمتلك القدرة والمال والامكانية لتنفيذ هذا اللؤم.

ومن اجل هذا وذاك حذرنا الامام علي(ع) من شبع اللئيم .

قال الامام علي (ع) (لاتستح من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه)

في هذا القول العلوي الرائع توجيه وحث للانسان في عدم تجاهل صغائر الخير.

فان هذه الصغائر التي كانت صغيرة في نظر فاعلها لكنها كبيرة مؤثرة في نظر من استفاد منها.

ان الامور واهميتها وتأثيرها والحاجة اليها والانتفاع بها امور نسبية.

فما هو صغير وتافه في نظري قد يكون كبيرا ومؤثرا في نظر غيري تبعا لظرفه وامكانياته ونفسيته وثقافته لذلك يأمرنا الامام علي (ع) ابن مدرسة الرسول (ص) وباب مدينة علمه يأمرنا بان لا نخجل ولا نلغي العطاء الصغير والقليل.

فان هذا العطاء قد يسد رمق المحتاج مهما كان صغره فانه سيغني شيئا لمحتاجه لانه يستند على قاعدة هي ليست قاعدتك فانت حكمت على قلة العطاء قياسا بما تملك ولكنه يحكم على هذا العطاء على قاعدة الحرمان المطلق.

بذلك سيكون هذا العطاء كبيرا ومؤثرا فلا تمتنع من اعطاء هذا الكثير لمحتاجيه حتى لو كان قليلا في نظرك.

ان الامام علي (ع) في هذا القول العلوي يعطينا صورة نفسية جميلة.

ففي كلماته هذه اشياء هائلة تحت السطور يحذرنا من الانانية ومن التفكير في التبعات الاجتماعية والاستعراضية للعطاء امام الناس.

فكثير من الناس يعطي للمحتاجين رغبة منه في الاستعراض والمباهاة والنفاق وعندما يزيد في عطاؤه يزيد في استعراضه واظهار نفسه ذلك الكريم المعطاء الوهاب.

هذا النوع من البشر لا يعطي القليل لانه لا يحقق له هذا الاستعراض والمباهاة والسمعة وسيمتنع عن ذلك لان هدفه ليس العطاء بحد ذاته لخدمة الاخرين وسد حاجاتهم فهذا شيء ثانوي.

فالشيء الاساسي بالنسبة اليه هو ما يحمله الناس عنه من كرم وعطاء وبذلك فان هذا النوع من البشر يمتاز بالانانية واظهار الأنا ودافعه الانا والاستعراض وليس العطاء والرحمة.

هذا النوع من البشر سيحرم اناسا كثيرين من عطائه لانه يعطي مرة واحدة ولكن بكمية كبيرة لكي يكون عند الناس قويا

مجلجلا.

اما لو كان عطاؤه للرحمة حقا لوزع هذا الكثير علـــى كثيـــر من الناس فان رحمته ستعم ولكنه سيخسر الاســـتعراض والمباهـــاة التي يبحث عنها.

ان كل البشر يحملون شيئا متفاوتا من الانانية والاستعراض فمنا من هو اناني واستعراضي كبير ومنا من كـــان ايمانـــه وخلقـــه وعقله شذبت انانيته واستعراضه فكانت هذه الاشياء ضـــعيفة فـــي نفسه ولكنها تبقى موجودة في نوازعنا الانسانية.

هنا يظهر عمق تفكير وتوجيه الامام علي (ع) فانه يحذر من بقايا الانانية والاستعراض في العطاء والرحمة.

فيريدنا ان نبتعد نهائيا عن الاستعراض والسمعة في العطـــاء وليكن هدفنا هو الرحمة بذاتها والعطاء بذاته.

لذلك علينا ان نعطي القليل القليل مما نملك فانه سيكون كثيرا لمن لا يملك وهذا الشيء لو انتشر وعم بين النـــاس لقلـــت الفاقـــه ولانعدمت الحاجة وانتهى الجوع.

بل سيتم القضاء على الانحراف لان احدى دواعي الانحـــراف هو الحاجة والجوع وعندما يعطي الناس كلهم القليل فـــسيكون هـــذا

القليل الذي عم الناس كلهم كافيا لاشباعهم وحيازتهم علـــى بعــض حاجاتهم الانسانية.

من اجل هذا وذاك يطالبنا الامام علي (ع) بعدم الخجــل مــن اعطاء القليل.

قال الامام علي (ع) (لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الاحمق وراء لسانه)

في هذا القول العلوي فهم معمق في الطبيعة الانسانية ونواقصها وكيف ان هذه النواقص تبرز الى السطح دون وعي من الانسان رغم محاولاته لاخفاء ما به من نقص.

فاكبر الناقصين نقصا هم الحمقى.

فالاحمق اهوج متعجل متطرف غير متأن سريع الغضب وسريع الحكم على الاشياء بلا روية ولا تفكير.

لذلك يكون حكمه خاطئا مشوشا متسرعا وقد وضح الامام علي (ع) هذه النوازع الانسانية بهذا القول الرائع.

في الشطر الاول من القول يؤكد الامام علي(ع) ان لسان العاقل وراء قلبه اي ان القلب يتقدم على اللسان في القرار وفي الاستجابة.

هذا القول فيه حكمة كبيرة لان اللسان في مقدمة الانسان والقلب يكون في جوفه وداخله ولكن الامام علي (ع) اراد ان يقول

ان العاقل يكون لسانه في الداخل غير ظاهر ولا معبر ولا مستجيب لشيء الا بعد ان يرى هذا الشيء القلب ومن ثم يدرسه وبعد ذلك يحكم عليه وعند خروج الحكم من القلب ينطق اللسان بهذا الحكم.

القلب هنا ليس المقصود بها تلك العضلة التي تدفع الدم في جسم الانسان بل المقصود بالقلب هو العقل والنفس وكل دواخل الانسان.

فهذه الاشياء تدرس ذلك الفعل لترى فيه قوة وضعفا وتأثيرا واستفادة.

فالانسان يملك عقلا يحكم به على الاشياء تبعا لخبرته وحصافته وذكرياته وتجربته لذلك يدرس العقل هذا الحدث مع باقي نزعات الانسان البشرية الطبيعية من كرامة وحكمة وشجاعة وخوف ومصلحة ودين وبعد ذلك يقرر قراره على هذا الفعل فيكون هذا القرار حكيما قويا معبرا عن مصلحة وحاجة وظروف ومخاوف ذلك الانسان.

بهذه الطريقة يحصل الانسان على ما يريد من هذا الحدث ويبتعد عن ما يخافه منه.

لان القرار كان متأنيا مدروسا قد قدرالامور كلها وبعد ذلك ياتي دور اللسان لينقل هذه القرارات الى الاخرين ويكون دوره مجرد التعبير.

اما قلب الاحمق فيكون وراء لسانه اي ان النفس والعقل تكون في الداخل خلف اللسان واللسان هنا يعبر عن رد الفعل السريع.

لان الاحمق يعبر عن حمقه بلسانه وهذا اللسان يعبر عن تعجل الاحمق وعدم اتزانه وعدم تقديره للامور وبهذا يكون قوله على الاشياء اهوج متسرعا دون النظر الى نتائج هذا القول وفوائده ومخاوفه ومدى امكانية هذا الشخص الحقيقية للتعبيرعن قوله المتسرع هذا.

بذلك يخسر هذا الاحمق فوائد الفعل الذي يراه ويوقع نفسه في مخاوف ما كان يخشاه في قلبه وعقله وهنا يضع نفسه في طائلة من المشاكل والاهانات من قبل الاخرين.

ان الامام علي (ع) يؤكد هذا القول في مكان آخر قال فيه (ياليت رقبتي كرقبة البعير) حتى لا يخرج الكلام متعجلا من النفس البشرية .

فهذا الكلام عليه ان يمر بدهليز طويل وبتأ ن كثير وبدراسة منصفة قبل ان ينطق اللسان وهذا ما مثله ابو الحسن برقبة البعير.

ان قول الامام علي (ع) الذي نتحدث عنه لان يحذرنا من

الرد السريع المتعجل خوفا من ان يتهمنا البعض بالجبن والتخوف لاننا تأخرنا في الرد على الاشياء.

فهنالك حاجز يضعه الامام علي (ع) في هذا القول ما بين الشجاعة والحمق والتعقل فالحماقة ليست شجاعة ولكن الشجاعة رديفة العقل لان رد الشجاع ردا يعبر فيه عن قوته وقدرته وامكانيته على الفعل حتى وان تأخر هذا الفعل زمنا قليلا.

قال الامام علي (ع)(الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة).

يعد هذا القول العلوي واحدا من الشعارات والامثلة الانسانية الخالدة والتي كانت وستبقى نبراسا اهتدى ويهتدي به الملايين عبر الزمان والمكان.

فهذا القول يؤكد تأكيدا قاطعا وصادقا ومعمقا عظمة شخصية الامام علي (ع) ومعرفته بالنفس البشرية وتقييمه للحاجات الانسانية والحياتية واضعا في حسابنا حاجات الانسان ومخاوفه ونواقصه.

ان الامام علي (ع) يؤكد في الشطر الاول من مقولته الخالدة على ان الغنى في الغربة وطن.

فاول شيء نلاحظه في هذه المقولة هو البلاغة والحكمة فانه لم يقدم الفقرعلى الغنى رغم ان الفقر في الوطن لان الحالة ليست بين الوطن والغربة فحالة الاختلاف هي بين الفقر والغنى.

فلو كان الموضوع هو الوطن والغربة لقدم الامام علي (ع) الوطن على الغربة ولكنه هنا قدم الغنى على الفقر لافضلية الغنى على الفقر فالافضل يقدم على الافضل منه.

هذه التفاته بليغة واشارة حكيمة في الكلام مؤكده إن كــلام الامام علي (ع) لا يخرج مجرد كلام بل هو حكمة وموعظة حــسنة دقيقة الحياكة عظيمة التعبير عميقة الفائدة.

قول الامام علي (ع) ان الغنى في الغربة وطن يحمل تفسيره في معناه.

فالانسان خارج وطنه بعيدا عن اهله واحبتــه يكــون حالــه مختلفا عن حاله في الوطن.

فالمشكلة في الغربة اعظم وقعا على الانسان حتى وان كانت شبيهة لما يقع له في الوطن.

فالحاجة في الغربة تكون اسوأ من تلك الحاجة في الــوطن ففي الغربة لا احد يعرفك حيث لا اصدقاء ولا اهــل ولا معــارف ولا اناس تعرفوا عليك.

فانت غريب مجهول غامض غير معرف فان احتجــت شــيئا فالى اين ستذهب ومن سيعطيك المال لذلك ستذهب لاكثر من شخص وهؤلاء الاشخاص غرباء عنك وحتى لو اعطوك او اقرضوك فــانهم يفعلونها على مضض ينعكس على نفسك وكرامتك.

هذه الاشياء تحصل للانسان وهو بأمس الحاجة ليثبت لهؤلاء الغرباء شخصيته وامكانياته وليس ذلك الشخص الــشحاذ المتطفــل

عليهم.

فالغرباء في نظرنا بصورة عامة اناس جائعون جاؤوا ليأكلوا في هذه الارض وهم اناس يجب الحذر منهم بسبب حاجاتهم والا لما هاجروا من اوطانهم.

بذلك ستكون حاجته فيها انكسار نفسي ليس فقط كونه طلب المساعدة من هؤلاء الغرباء الذين لايعرفونه ولا يعرفهم وليس فقط لانه تنازل كثيرا عن كرامته من اجل هذه الحاجة لكنها تعني ايضا فقدانه لطموحه في ان يقدم نفسه لهؤلاء الناس الجدد وهذه الارض الجديدة بطريقة محترمه كريمة تجعله مقبولا ومحترما في هذه الارض الجديدة.

بينما في الوطن فان الانسان لو احتاج شيئا لا يستحي من ان يطلبها من اهله واصدقائه ومعارفه فانهم يعرفونه او انهم اهله عليهم ان يساعدوه ولن يفقد منزلته في وطنه بسبب حاجته لانه قد اثبت لهم قبل ذلك صفات حميده كثيرة غير الحاجة.

ان حاجة الانسان في الغربة تكون غربة مضاعفة من نوع آخر.

لهذا فان امتلاك المال في الغربة سيكون لك وطنا جديدا.

فالمال والغنى يجعلك بعيدا عن الحاجة مترفعا عن الاخرين

فالمال يعطيك البيت والطعام والمنزلة والاصدقاء وعدم خوف الاخرين وثقتهم بك وسعيهم للتعبيرعن محبتهم لك طمعا او توددا او اعتزازا وهذا كله سيخلق لك جوا اجتماعيا ونفسيا حلوا مستساغا تأنس فيه بين هؤلاء الناس الذين يقابلونك بالابتسامة ويسعون لارضائك.

هذا الجو النفسي الجديد وهؤلاء الجدد سيكونون لك وطنا جديدا بل انهم سيعوضونك عن وطنك كونك لا تشعر بالغربة معهم.

لهذا يكون المال والغنى لك وطنا في الغربة وهذا تعبير حكيم في ان يكون الوطن في الغربة فالذي جعله كذلك هو المال والغنى.

ان المال والغنى في الغربة تعطي لهذا الغريب منزلة خاصة كما اوضحنا ذلك.

فاخطاء هذا الغريب سوف يتحملها الناس الجدد بل سيتغاضون في كثير من الاحيان عن بعض الاخطاء او بعض الانتهاكات لانهم يحسون بالحاجة وبالمودة مع هذا الغريب.

كما انهم سيفسرون هذه الاخطاء تفسيرات ايجابية كونها اخطاء اعتيادية ويجب تلافيها لان هذا الرجل يملك اشياء كثيرة في الحياة تجعله قادرا على ان يتجاوز هذه الاخطاء والنواقص.

بينما الفقير في الغربة يكون الناس حذرين متوجسين خائفين

منه.

فاي شيء يفعله سيفجر فيهم كل مخاوفهم وشكوكهم وروافضهم اتجاهه.

لذلك سيصبح كل خطأ بسيط سببا للثورة عليه والنقمة منه ولفظه وطرده من هذه الارض الجديدة شر طرده ولن يجد من ينصره في تلك الحالة.

بينما الغني سيجد الكثير ممن يقفون معه ويناصرونه ويؤيدونه.

هذا فضلا عن ان الناس الذين يقع عليهم الخطأ سيتجاهلون الخطأ كما اسلفنا في سابق الحديث.

ان القوانين الحديثة الرأسمالية تتعامل مع المهاجرين الجدد والقادمين الجدد حسب منزلتهم الاقتصادية.

فالذي يملك مالا ويضعه في احد البنوك فانه سيحصل مباشرة على الاقامة وقبلها على الفيزا وقد يحصل على الجنسية التي تجعله مواطنا له كل الحقوق في هذه الارض الجديدة حاله حال المواطنين الاخرين الذين سبقوه بمئات السنين في هذه الارض بينما الفقير الذي لا يملك مالا لن يعطى له الفيزا ولن يسمح له بدخول البلد وان دخلها خلسة تلقي الشرطة القبض عليه ويودع في السجون وبعد ذلك يطرد

من البلد بطريقة مهينة.

فما الفرق بين الاول والثاني؟

فالاول حصل على كل شيء والثاني لم يحصل على اي شيء.

الجواب سيكون هو الغنى والمال.

فالغنى جعلك مواطنا في هذه الارض الجديدة وكان هذا الغنى لك وطنا في غربتك كما قال الامام علي (ع).

اما الفقر في الوطن فهو غربة دون تغرب.

فالانسان الفقير بين اهله واصدقائه يعيش نوعا من الغربة والغربة هنا هي ابتعاد الناس عنه وعدم مواساته في بعض الاحيان او الهروب من طلباته.

فالفقير يكون دائما بحاجة للاخرين و استمرار حياته يكون بمساعدتهم.

لهذا فهو شخص لا يوده كل الناس،كثير الحذر من الذهاب بشكل دائم الى اولئك الاشخاص الذين يتعطفون عليه.

فهو لا يذهب اليهم الا لحاجة معينة او مجاملة او شكر معين

وبذلك فلن يكون سعيدا في ذهابه لهؤلاء الناس.

اما الاخرون الذين لا يقدمون له يد المساعدة فتراهم يبتعدون عنه ويهربون من طلباتـه وكثيـرا مـن الاحيـان لا يجاملونـه او يتعاطفون مع مشاكله وان كان له بعض الاصـدقاء فـانهم قليلـون محدودون وبهذا سيكون في جو يحس فيه وكأنه غريب عن اغلبيـة المجتمع الذي يعيش فيه الا القليل من هؤلاء النـاس فهـذه غربـة نفسية واجتماعية حتى لو كانت داخل الوطن .

اننا نشاهد في بعض الاحيان وضمن الاسـرة الواحـدة ان الاخ الغني محبوب من قبل اخوته يترددون اليه دائمـا ويزورونـه باستمرار ويكونون الى جانبه في الافراح والاتراح وبـذلك يحـس بامتلاء اجتماعي ونفسي لكثرة ما يحيطونه به من مودة وحب.

بينما الاخ الفقير يكون وضعه الاجتماعي اقل من ذلك فلـن يزوروه اخوته دائما وباستمرار ولن يقفوا معه في الصغائر بـل ان زيارتهم له تكون متباعده واهتمامهم به يكون قليلا.

ومن اجل كل ما تقدم ألم يصبح الغنى وطنا في الغربة وألـم يكن الفقر في الوطن غربة كما قال الامام علي (ع).

قال الامام علي (ع) (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمالها على المنافق على ان يحبني ما أحبني: وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي صلى الله عليه وسلم انه قال: ((ياعلي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق))

هذا القول العلوي الرائع مشتق وقادم ومؤسس على حديث للرسول الكريم (ص).

الامام علي (ع) لم يدع لنفسه يوما شيئا لا يملكه ولكنه في هذه المرة تكلم باطلاق عن نفسه لا مدحا لها بل اعترافا منه وولاءا وتقديسا وخضوعا وايمانا بقول حبيبه ونبيه الرسول الكريم (ص).

فقول الامام علي (ع) تفسير وتفصيل لقول الرسول الكريم (ص).

الامام علي (ع) هنا يؤكد على حقيقة ثابته هي ان المؤمن الحق مؤمن ولا يتزحزح ايمانه حتى لو حاربته الدنيا على ايمانه والمنافق منافق حتى لو جملت الدنيا امامه الايمان.

فايمان المؤمن راسخ ثابت اصيل ونفاق المنافق ثابت متجذر في نفسه.

فالايمان لم يات من فراغ بل انه جاء حتما بعد تجربة قاسية بحثا عن الايمان وهذه التجربة ادت الى قناعـة لايمكنهـا الـزوال بسهولة ويسرلانها مرت عبر قنوات كثيرة معقدة بين العقل والتفكير والالم والحرمان والامل.

هذه الاشياء ان تآلفت واجتمعت وتناقشت في عقل سليم فان نتاجها راسخ لا يتغير حتى القبر.

بالمقابل فان المنافق جاء نفاقه معبرا عن شخصه ونزعاتـه وتصوراته واخلاقه وطموحاته فالمبدأ عند المنافق مـرن ولا ثبـات فيه.

بل هو متغير حسب الطموح والحاجة.

كما ان عقله لا يكون سيد الجسم بل هـو مطيـة تمتطيهـا طموحاته واحلامه ورغباته متى شاءت.

فاينما تذهب هذه الاشياء ترى العقل يذهب معها ويعبر عنها بكلمات معسوله وافعال ذكية ترضي من يريد هذا الانسان منافقته.

لذلك فان نفاقه ثابت اصيل لا يمكنه ان يتغير بسهولة.

وتبعا لهذه الارهاصات الانسانية بسلبها وايجابها وتأسيسا عليها وانطلاقا من ثباتها وديمومتها جعل الامام علي (ع) من نفسه مثلا لتوضيح طبيعة المنافق وطبيعة المؤمن.

فهو يقول ان المؤمن ثابت لا تغيره الاستثناءات والاحداث وايمانه اصيل بفكره وبمن آمن بهم فلو قمت انا بضرب خيشوم المؤمن بسيفي لظل حبه مستمرا الي ولن تكون ضربتي له مغيرة لمشاعره الي.

لان المؤمن لا يحبني لشخصي بل يحب الايمان الذي في داخلي والدين الذي احمله والمبدأ الذي اسير خلفه.

بالمقابل فاني لو اعطيت للمنافق كل ما يريد من الدنيا فانه لن يحبني لان في ما ليس فيه.

فهو يبغضني لانني احمل مالا يحمله بل احمل ما يكرهه هو من الصفات التي ابتعد عنها وركب غيرها من القيم المشينة التي اوصلته الى الذهب الذي اعطيته اياه فهذا العطاء لن يجعله محبا لي بل سيزداد حبا لنفاقه ولصفاته.

لذلك سيبقى مستمرا في كراهيته الي وهذا الكلام الذي فصله الامام علي (ع) هو لسان حال الرسول الكريم (ص) الذي اختصره بحديثه المعروف.

ان الرسول لا يجامل ولا ينطق بكلمات ليســت بموقعهــا ولا يتحدث عن اشخاص بما لا يحملون.

فهو نبي الله ولسان الله على الارض ومــا اتــاكم الرســول فخذوه وما نهاكم فانتهوا.

فقول الرسول (ص) هو قول الله وعندما يقول الرسول فــي حديثه في معناه ان لا مبغض لعلي الا المنافقين ولا محب لعلــي الا المؤمنين.

قال الامام علي (ع)(اوضع العلم ما وقف على اللسان، وارفعه ما ظهر في الجوارح والاركان).

في هذا القول العلوي تأكيد على موضوعية العلم وفائدته.

فهنا يؤكد ابو الحسن ان العلم لايكون علما لو اقتصر هذا العلم على الكلام فقط دون ان يأخذ منحى تجريبيا عمليا حياتيا.

قبل الولوج في تفسير هذا القول علينا ان نقول ان العلم الذي يقصده الامام علي "ع" هنا ليس هو العلم المجرد بل يقصد الثقافة بشكلها العام والتي يصبح العلم جزءا منها.

فقول الامام علي "ع" هذا يعني ان الثقافة الحقيقية لايمكن ان تسمى ثقافة دون ان تأخذ طابعا عمليا تصحيحيا توجيهيا.

فالثقافة ليست مجرد معلومات نحفضها ونرددها في السنتنا ونحن لانقتدي بها.

فالكثير من الناس يتحدث بلسانه عن التحضر والذوق واللياقة وحسن التصرف ولكنه لايمارس هذه الاشياء في حياته العملية فتراه فضا متخلف قليل الذوق عديم الاحساس بنواحي الجمال

في الحياة وهذا الموضوع هو محور النقاشات الثقافية في الوقت الحاضر في اغلب بلدان العالم.

فقد اجريت ندوات كثيرة في العالم تحت شعار ما هي الثقافة ومن هو المثقف الحقيقي وكل هذه الندوات الثقافية التي اجريت في العالم في القرن العشرين خرجت بتوصية واحدة مهمة ان المثقف الحقيقي هو ذلك الذي يجعل من ثقافته اسلوب عمل له وليست معلومات يرددها بلسانه.

هذه الندوات اجريت كثيرا في بيروت والقاهرة ودمشق في السنوات القليلة الماضية واعتبرت هذه الندوات دليلا على تحضر المجتمع العربي وقدرته على ترسيخ الثقافة الانسانية الحديثة وتحويلها الى منهاج عمل حياتي.

لم تعقد هكذا ندوات قبل اربعينيات القرن العشرين فهكذا نوع من النقاشات لم تظهر في العالم العربي الا في النصف الثاني من القرن العشرين.

فهي اراء حديثة جدا ومتطورة عن مسار الثقافة العربية.

لكن الامام علي "ع" قد اختصر هذه الندوات الثقافية الهائلة التي ملئت الدنيا وشغلت الناس وطبعت من رواءها ملايين الكتب والمقالات والمجلات اختصرها بقوله العلوي العظيم بكل بلاغة وحبكة (اوضع العلم ما وقف على اللسان).

ان القصد باوضع العلم اي ادنى العلم اي ادنـــى الثقافـــة اي تلك الثقافة التي لا اهمية لها هي تلك الثقافة والمعلومة والعلم الـــذي يقتصر على اللسان دون الممارسة.

في هذا القول العلوي توجيه مبطن في ان المثقف الحقيقـــي يختلف عن المثقف الظاهري الاستعراضي.

فالمثقف الحقيقي هو ذلك الشخص الذي يحول ثقافتـــه الـــى ممارسة بعد ان تتشبع روحه وقلبه بهذه الثقافة وتلك المعلومة.

فالشطر الثاني من مقولة الامام علـــي "ع" تؤكـــد وتوضـــح وتصف لنا الثقافة الحقيقية والعلم الحقيقي ومن هو العالم الحقيقـــي ومن هو المثقف الحقيقي ويختصر كل هذه الصور بجملة بليغة عندما قال (وارفعه ما ظهر في الجوارح والاركان).

المقصود هنا بالجوارح هـــي دواخـــل الانـــسان ومـــشاعره وروحانياته وافكاره واحاسيسه وانتمائاته.

فالمثقف الحقيقي تبعا لهذا القول العلوي هو ذلـــك الانـــسان الذي تشبعت روحه ونفسه واحاسيسه وخلجاته بالثقافـــة الحقيقيـــة الانسانية التي تعبر عن حاجات الانسان ومصالح الاخرين ومشاعرهم واهتماماتهم.

اما قصده في كلمة الاركان فهـــي تعنـــي اعـــضاء الجـــسم

الرئيسية ويقصد بها ان الثقافة الحقيقية لاتقتصر على تشذيب النفس والروح بل انها تنعكس في تصرفات واعمال الانسان فأركان الانسان هي الرأس والاطراف العليا والاطراف السفلى والقلب والعقل وهـذه هي الاشياء التي يعبر بها الانسان عن دواخله.

فعمل الانسان يخرج من يده واقدامه بذلك يجب ان لايحتفظ المثقف او العالم بعلمه وثقافته داخل نفسه بـل عليـه ان يظهرهـا بتصرفاته ويجب ان تكون اعماله وتصرفاته معبـرة عـن دواخلـه المثقفة التي تشبعت بالعلم والمعرفة.

فالامام علي (ع) قبل الف واربعمائة سنة ميز بين ثلاثة من المثقفين والعلماء بين المثقف الذي ينطق بالثقافة بلسانه وهو لـيس بمثقف.

النوع الثاني هو المثقف الذي يحتفظ بثقافته لنفسه ولا يعبر عنها فهو الذي يستمتع بها فقط.

النوع الثالث وهو المثقف الحقيقـي الـذي عبـر باعمالـه وتصرفاته عن ثقافته الداخلية.

هذه التصانيف لم نعرفها نحن المثقفون العرب الا في النصف الثاني من القرن العشرين ولم تعرفها اوربا الا فـي بدايـة القـرن العشرين.

لذلك علينا ان نعيد دراسة كلمات الامام علي (ع) من جديـــد فاننا سنجد فيها قفزات حضارية هائلة سبقت الانسانية كلهـــا بـــالف واربعمائة سنة لان ابا الحسن (ع) ابن مدرسة الرسول الكريم (ص)

قال الامام علي (ع) (من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم).

هذا القول العلوي فيه اشياء كثيرة تكلمنا على بعض منها في مواضيع سابقة.

فقول الامام يؤكد على جوهر الاشياء ونتائجها وموضوعيتها ولا يأخذ الاشياء بموقعها او عنوانها.

فهو يتكلم عن اولئك الناس الذين يعلمون الناس شيئاوغابت عنهم اشياء يتحدث عن البعض الذين يدعون القيادة والمنزلة الرفيعة في الدين والحياة فيطالبهم قبل ان يدعوا ذلك ان يبدأوا بانفسهم وتشذيبها قبل البدء بتعليم الاخرين.

فان ميدانكم الاول انفسكم ان استطعتم عليها كنتم على غيرها اقدر اي ان الانسان الذي لا يستطيع ان يشذب نفسه ويقومها فانه غير قادرعلى تعليم الاخرين وتقويمهم.

فهو ليس بالقدوة الصالحة التي يقتدي بها الاخرون فكل كلامه عن التقوى والايمان والعدل والاستقامة تذهب هباء عندما يرى الاخرون ابتعاده وعدم تطبيقه لهذه المبادىء التي يريد من الاخرين السير عليها.

اما اولئك الناس الذين شذبوا النفس ومنعوها من الهوى فانهم قدوة حسنة يقتدي الناس بهم من خلال افعالهم قبل سماعهم لاقوالهم وبذلك يحق لهذا النفر من الناس ان يدعون الامامة على الغير.

في المقطع الاخر يتحدث الامام علي (ع) عن نقطة كثيرة الدقة.

هذه النقطة تؤكد على ان الانسان عندما يكون قدوة حسنة بتصرفه حتى وان كان انسانا بسيطا فانه اجدر بالاجلال والطاعة والاحترام من اولئك الناس الذين اخذوا موقعا علميا او دينيا كبيرا في المجتمع ولكنهم لم يستطيعوا ابدا ان يغيروا ما بانفسهم او يشذبوا نزعاتهم.

فاحترام الناس لهم يجب ان لا يكون حسب موقعهم الرسمي او الاجتماعي بل ان احترام الناس للرجال يكون حسب قدرتهم على ملئ هذا الموقع واقناع الناس بتصرفهم وشخصيتهم بانهم جديرون بهذا الموقع.

هنا يضع الامام علي (ع) نقطة غاية في الحساسية وغاية في التقدمية والشعبية وغاية في الجماهيرية عندما يقول ان الذي يحدد الاحترام ليس الموقع الفوقي الذي يفرض على الناس بل ان هذا الموقع ياخذ حيزه من احترام الناس وقناعتهم بهذا الشخص.

بذلك فان المعيار في تحديد المواقع والسلطات والاشخاص لا يحدده من هو جالس في اعلى قمة المجتمع بل الذي يحدده هو القاعدة العريضه للمجتمع من خلال قناعتهم واقتناعهم بان هذا الشخص يستحق الاجلال والاحترام.

فلا قدسية للمواقع العليا فالقدسية الوحيدة والمعيار الوحيد في وجود هذه المنزلة العليا هو معيار المجتمع وقناعة عامة الناس بهذا الشخص.

بذلك فان الامام علي (ع) يطرح في قوله المختصر هذا نظرية جديدة في ان السلطة تحدد من خلال وجهة نظر المجتمع بها.

فان احترمتها وقدرتها وقدستها كانت هذه السلطة اوهذه المواقع محترمة مقدسة باقية.

اما لو نظر المجتمع بعامته الى هؤلاء الاشخاص بصيغة لا تعبر عن قناعتهم واحترامهم مهما كان عظمة هذا الموقع وسلطته فان هذا الموقع وهذا الشخص لا اهمية له ولا وجود ولا احترام له لان المعيار الاول هو الناس وقناعتهم.

قد يتصور البعض اننا قد اعطينا لهذا القول حجما وبعدا اكثر من حقه.

لكننا نقول ان الامام علي (ع) قال في الشطر الثاني (احـق بالاجلال من معلم الناس) فقد ذكر كلمة الاجلال والاجلال كلمة تطلق على المواقع العليا الدينية والاجتماعية.

ثم انه قال معلم الناس والناس تشمل المجتمع كله ولم يقـل معلم المؤمنين ولم يقل معلم الصبيان.

فكلمة الناس تعني المجتمع برمته وليس لواحد من اجزائه.

استنادا الى كل هذا وذاك فاننا نقول ان الامـام علـي (ع) لا يقصد في قوله هذا امام الجامع فقط بل كل موقع مرتفع في المجتمع دينيا كان ام اجتماعيا ام سلطويا.

قال الامام علي (ع)(اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فأن رواه العلم كثير ورعاته قليل.

في هذا القول العلوي درس بليغ في كل الاشياء الحياتية والاجتماعية والسياسية والدينية والعلمية.

فكثير من مواقفنا اتجاه كل شيء ياتي من خبر نسمعه وعلى ضوء ما سمعناه نبني مواقفنا اللاحقة.

في الوقت الحاضر كثير من المواقف السياسية تبنى على اساس اخباري والاعلام هنا يلعب دورا كبيرا ومتميزا في عملية نقل الخبر في الجانب الاجتماعي والديني وحتى القانوني.

فان كثيرا من الاشياء تحدد على ضوء ما يحمله البعض لنا من اخبار.

ان الامام علي (ع) يرشدنا هنا لتلافي الوقوع في الخطأ والخطل والتصور في فهم الاشياء او في الحكم عليها.

فانه يطالبنا بان نتعقل الخبر وتعقل الخبر يعني ان اقيسه بعقلي واناقشه بمنطق العقل وبذلك فاني لن اقبل الخبر كما نقل الي.

فان الخبر عندما يصل الي فهو يعبرعن عقلية ناقلة و يتكلم عن شيء كما فهمه في عقله وكما استوعبه عقله وبمـــا ان النـــاس متفاوتون في مستواهم العقلي وفي قدرتهم العقليةعلى فهم الامــور واستيعابها لذلك فان كل واحد منهم سينقل الخبر كما فهمه هو وكما مر من خلال عقله هو ولو انتقل الخبر من خلال عشرة اشخاص فان الخبر سيمر من خلال عشرة مفاهيم مختلفة.

فالبعض سيحجب قسما منه لانـــه لـــم يـــستوعبه والـــبعض سيضيف عليه لانه هكذا.

لذلك فان الامام علي (ع) يطالبنا بان نتعقل الخبـــر قبـــل ان نتبناه وتعقلنا له بعقل منفتح وعقل علمي لا نتعقله على ضوء عقلية الشخص الذي نقله فهذه العقلية تعبر عن ذلك الشخص فقط.

ان الامام علي (ع) يطالبنا في ضرورة فهم الاشياء بطريقـــة عقلية ونقلها ايضا بطريقة عقلية فاهمة.

قال الامام علي (ع) (لقد علق بنياط هذا الانسان بضعه هي اعجب ما فيه: وذلك القلب، وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها، فان سنح له الرجاء اذله الطمع، وان هاج به الطمع اهلكه الحرص، وان ملكه اليأس قتله الاسف، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وان اسعده الرضى نسي التحفظ، ان غاله الخوف شغله الحذر، وان اتسع له الامن استلبته الغره، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع، وان افاد مالا اطغاه الغنى، وان عضته الفاقة شغله البلاء، وان جهده الجوع قعد به الضعف، وان افرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد).

في هذا المقطع العلوي الجميل الذي يوضح فيه الامام علي (ص) كثيرا جدا من النزعات والغرائز الانسانية.

فهو يقول ان الانسان مجموعة من الغرائز والشهوات والطموحات والامال وكلما تحقق امل اختلق املا جديدا وكلما وصل الى مرحلة ولدت عنده مرحلة جديدة وكلما حلم بحلم ظهرت له احلام جديدة عندما يتحقق حلمه.

هكذا الانسان منذ ولادته حتى وفاته جملة من التناقضات المعنوية والغرائزية فالانسان لا يمكن ان يكون انسانا الا لو مر بهذه السلسلة من التطورات والحاجات.

يبتدأ الامام علي (ع) مقطعه الحكيم هذا بكلمة رائعة يقول ان قلب الانسان هوعالم عجيب معلق بنياط.

النياط هنا العرق الرئيسي في القلب والبضعة يراد بها القلب.

اذ يقول الامام علي (لقد علق بنباط هذا الانسان بضعه هي اعجب ما فيه) ذلك القلب تتواجد فيه الحكمة وكل اضدادها وكل ما يناقضها.

ففي هذا القلب والمقصود هنا النفس التي يرمز لها بالقلب النابض تحمل كل التناقضات ففيها القسوة واللين والشبع والجوع والايمان والكفر والايثار والاستئثار والشجاعة والجبن والصبر والجزع وكل شيء يحسه الانسان في حياته.

يبدأ الامام علي (ع) تفصيل هذه النزعات الانسانية حسب تطورها.

فكلما حقق هذا الانسان شيئا ظهر له نقيضه ويقول اذا حقق الانسان شيئا من رجائه وطموحاته اذله الطمع وهذه صفة انسانية الا وهو الطمع.

فالطمع يدفع الانسان دائما لأخذ المزيد حيث كان قبل ذلك يتمنى ان يحصل على مال معين وعندما يحققه يطمع بمال جديد وهكذا بلا حدود.

عندما يتضخم هذا الطمع ويهيج يهلكه الحرص على هذا المال فيبدأ ينشغل بعقله وتفكيره خوفا من ذهاب هذا المال الذي كونه وهذه الصفة لم تكن موجوده قبل تكوين المال.

فحلمه السابق كان هو تحقيق المال ولم يكن يفكر ابدا بحماية المال والان عندما ياتي المال تظهر نزعة اخرى تسيطر عليه الا وهي نزعة الحفاظ والخوف على هذا المال حتى يهلكه. وان لم يحقق المال يعتريه اليأس وعندما ياتي اليأس وقلة الامل يقتله الاسف والحسرة لانه لم يحقق مبتغاه السابق وسيبقى هكذا اسير هذه المشاعر.

اما اذا سيطر عليه الغضب تفجرت عنده مشاعر الغيظ و اذا حقق احلامه ووصل الى السعادة ورضي بما حصل عليه اصابته البلادة التي تجعله بعيدا عن التحفظ وبذلك سيقع في مخاطر كثيرة بسبب عدم حذره وتحفظه وان سيطر عليه الخوف انشغل عقله بالحذر فسيعطي كل اهتمامه متحذرا بسبب خوفه.

فالسعيد هنا بليد والخائف هنا حذر حد الموت اما اذا احس بالامن المطلق فأجاته الغفلة والغرة وبذلك تسلب منه هذه الغرة امنه الذي كان يشعر به وان وقع في مصيبة اصبح فريسة الجزع والملل

والقنوط وبالتالي سيكون في حال لا يحسد عليها وان استفاد من المال جعله الغنى طاغيا مستبدا لا يرحم الناس ولذلك سيكون معرضا لاحقادهم ودعواتهم وغضبهم الذي يسبقه غضب الله وان وقع في الفاقة سيطر عليه الشعور بالبلاء وان وقع في الجوع سيطر عليه شعور بالضعف والاستكانة وعدم القدرة على العمل والتحرك وان شبع كثيرا كضته البطنة اي احزنته واضاقت تخمته.

بهذه المشاعر الانسانية يوضح الامام علي (ع) ان لا سعادة في الغناء ولا في الفقر ولا في الامان ولا في الجوع ولا في الخوف ولا في الطمع ولا في اليأس ولا في الغضب ولا في التحفظ ولا الحذر ولا بتحقيق الاحلام.

فلكل واحدة من هذه الاشياء السلبية والايجابية آفة تظهر امامها عندما تتحقق تكون سببا في تعاسة الانسان وانشغاله وعدم استمتاعه بما حصل عليه.

لكن هذه الاشياء كلها بسلبها وايجابها وجميلها وقبيحها يمكنها ان تمر مرا جميلا على الانسان اذا كان قلبه مفعما بالايمان وروحه تواقه الى الله تسعى للخير في الارض سعيا وراء السماء.

قال الامام علي "ع" (اضر الاشياء عليك ان تعلم رئيسك انك اعرف بالرياسة منه).

ان اختيارنا لهذا القول العلوي نوع من اثبات الموضـوعية والواقعية في تفكير وفلسفة امام الحكمة فهذا القـول فيـه نـصح وتهذيب وارشاد وحرص على ضرورة التعامل مع الناس بقيم لاتجرح كبرياءهم ومواقعهم ومنزلتهم.

فالانسان باستطاعته بحسن الكلام وباختياره الوقت المناسب ان يحصل على اهدافه المشروعة ما لا يمكنه الحصول عليها بطريقة التجريح والاستعلاء والقصر.

فرئيسك في العمل او في المدرسة او الجامعة او في الحياة بصورة عامة يحس بان لديه موقعا اعتباريا واجتماعيا لم يات مـن فراغ بل جاء من خلال حرصه وتفانيه ونـضاله وتجربتـه وهـذه الاشياء جعلت عنده حس ابوي ونزعة قيادية يمارسها على مرؤسيه من خلال النصيحة والتوجيه والمعرفة التي جاءت من خلال سـنوات العمل او من خلال تفانية وحرصة في العمل السابقين اللذين او صلاه لهذا المو قع.

هذا الرئيس ينتابه شعور طبيعي وموضـوعي كونـه أبـا

موجها مما يجعله راغبا في ان تكون له انسانا مطيعا متفهما مصغيا فهذه من الاشياء التي تتفق مع منزلته وتتفق مع السياق الطبيعي للتسلسل الهرمي في المسؤولية وتتفق مع من يكبرنا في السن والتجربة.

لذلك فان اي اخلال لهذا التعامل حتى وان كان ردك على رئيسك علميا وموضوعيا فان هذا الرئيس حتى وان اقتنع بكلامك وبصحته فانه يعتبرك ابن غير بار ومرؤس غير مهذب لانك واجهت تاريخه وتجربته بشكل مباشر دون مقدمات ودون تمهيد ويزداد الموضوع خطورة لو كان رأيك الصائب قد طرح امام الاخرين.

فهذه اهانة مباشرة لمشاعر واحاسيس انسان ارتكز على منزلة جاءت عبر السنوات واذا بها تنهار في لحظة واحدة عندما يشاهد الاخرون ان تجربته الطويلة لم تسعفه في ايجاد رأي صائب.

فلو كان رايك قد وصل اليه بطريقة مهذبة واعية وبعزلة عن الناس لكان قد اقتنع بها واثنى عليك فيها.

كل هذه الاشياء نقولها استنادا على بديهية ان هذا الرئيس انسان طبيعي لا تحركه النوازع المعقدة والمشاعر المتعالية اما لو كان رئيسك يحمل السلبيات آنفة الذكر فان هذا الشخص يحتاج الى جهد اكبر وذكاء اعظم وسياسة متميزة كي تحقق معه ما حققته مع رئسك الطبيعي.

لقد اعطينا هذه المقدمة الطويلة عن الرياسة بصورة عامة ولكن هذه المقدمة ضرورية لفهم الهدف المعمق لما اراده امام الحكمة من هدف.

فالرئيس هو الرأس والرياسة جاءت من الرأس والرأس هو القائد وهو العقل المفكر وهو الشيء الاكثر بروزا في الجسم وفي الجماعة .

للرياسة صفات ومهارات فالبعض من الرؤساء يملكون مهارات الرياسة والبعض منهم يملك بعضا منها ويخفي البعض الاخر من خلال الشراسة في الرياسة او في الصمت الطويل او في الابتعاد عن مرؤسيه كي لا يجعل الاحتكاك بهم سببا لمعرفتهم بنواقصه وثغرات الرياسة لديه وعندما يأتي احد المرؤسين ويظهر حذاقة وعلما بالتصرف القيادي الحكيم خلافا لما يقوله الرئيس.

فذلك التصرف يفقد هذا الرئيس موقعه الطبيعي وبذلك يبدأ هذا الرئيس بالضغط عليك كي تقع بالاخطاء او بالملل او بالضجر فيستغلها ضدك بكل قسوة كي يظهر للاخرين من اقرانك انك لا تتقن مهارات القاعدة فكيف لك آن تتحدث عن مهارات الرياسة.

ان الامام علي (ع) هنا لا يريدنا ان نغمض العينين عن اخطاء الرئيس ولكن يطالبنا بضرورة التعامل الحذر مع الرئيس وضرورة ايصال اخطاؤه اليه بطريقة ذكية.

آن هذا الحديث هو لمن لا يريد ان يكون خارج عمله الـــذي يعمل فيه ولكن الانسان الذي يروم الانتقال من موقع الى آخر بسبب عدم قدرته على البقاء تحت رياسة هذا الـــرئيس او ذاك فعليـــه ان يكون واضحا وصريحا مع رئيسه قبل ان يترك العمل او الموقع الذي يعمل فيه.

فالامام علي (ع) هنا يفرق بين نوعين من المرؤسية همـــا مرؤسية فيها رزقك ورزق عيالك وانت قائم بواجبك بما يرضـــي الله وبين مرؤسيه يمكنك الاستغناء عنها وايجاد ما يكفيك ويكفي عيالـــك في مكان آخر.

النصيحة التي يعطيها الامام علي (ع) لا تتعارض ابـــدا مـــع المبادى بل انها تؤكدها.

فان الامام علي (ع) يطلب من المروس ان يقوم بعمله بمـــا يرضي الله وان يعارض رئيسه اذا خرج من مسار الله.

لكنه يعطي نصيحة اجتماعية حياتية فـــي ضـــرورة حـــسن التعامل مع نفسية الرئيس والابتعاد عن الاستعراض واظهار المعرفة امام الاخرين على حساب رئيسك فان هكذا افعال تضر بك وبرزقـــك وبعيالك فعليك ان تكون حريصا في الحفاظ على مصدر رزقك.

قال الامام علي (ع) (اهون الاعداء كيدا اظهرهم لعداوته) وقال الامام (ع) (من كثر حقده قل عتابه).

في هذين الحديثين العلويين منحى فلسفي واحد في الاتجاه وهو ان الانسان كلما كان واضحا بمشاعره قلت قدرته على مفاجأة الناس بما لا يرضون منه.

فالانسان الذي يعبر عن داخله فهو انسان غير عدواني تخالج نفسه الطيبة ويسعى من كلامه ان يكسب ود الاخرين ورضاهم او على الاقل جعلهم بعيدين عن العداوة معه او الانتقام منه.

في الحديث الاول يؤكد امام المحكمة ان الانسان الذي يملك شجاعة ووضوحا في حياته فهو انسان لا يركن الى الخديعة والمكيدة لان هاتين الصفتين تتناقضا مع شجاعته ووضوحه واحترامه لنفسه وثقته بها.

فهو يتصور ان شجاعته قادرة على دحر الاخرين دون الحاجة لسلوك طريق آخر معوج.

هذا النوع من الناس واضح العداوة محدد الاهداف معروف الاتجاه.

فلا يتفاجأ عدوه به وبذلك يكون هذا العدو متيقظا صاحيا مستعدا لقتاله وبذلك تصبح المواجهة معه امرا اعتياديا يمكن مواجهته.

اما الانسان الجبان الذي لا يملك ثقة بنفسه فهو لا يواجه اعداءه بشكل مباشر وبطريقة واضحة.

لذلك يتحين الفرص ويكيد المكائد ويضع الفخاخ في طريق عدوه حتى ينال منه.

هذا النوع من الرجال تكون ضربته قوية ناجزة الا وهي ضربة الجبناء التي تكون بلا رحمة وعن طريق الغدر لانه يعرف ان خلاص عدوه من هذه المقتله تعني له الموت المحتم.

فهذا العدو سيعود اليه في الايام القادمة ليقتله لذلك يسعى للقضاء عليه نهائيا في اي فرصة تسنح له.

كما ان الانسان الذي لا يظهر العداوة يخفي في داخله شيئا لا يمكن تحقيقه الا باخفاء العداوة حتى يطمئن العدو له او يأمن جانبه وبذلك ينقض عليه.

فالغفلة هي ما يريدها وهذه لا تكون الا عندما يأمن العدو جانبه.

في اغلب الاحيان يكون الاخفاء للعداوة اخفاء لضربة مخجلة وليست مشرفه.

كأن يضرب ابناءه او زوجته انتقاما منه.

بينما الانسان الذي يظهر العداوة فهو انسان لا يتجه الى الخسة والمكيدة بل يتجه الى القتال بشرف ورجوله.

اما في الحديث الثاني ففيه عمق فلسفي ونفسي كبير جدا.

فالانسان المعاتب هو ذلك الانسان الذي يحس معك بخيوط من المودة والعلاقة والاحترام فعندما يعاتبك فانه يستند على تلك الخيوط وتلك الاشياء التي يحملها في نفسه اليك ويتصورها موجودة عندك.

فلا يعاتب العدو عدوة ولكن الصديق يعاتب صديقه لاعتبارات الصداقة والعلاقة والاخ يعاتب اخاه لاعتبارات الاخوة والحبيب يعاتب حبيبته لاعتبارات المحبة.

فهذا الانسان الذي يعاتب بكثرة يعني امتلاكه لعواطف صادقة اتجاه اغلب الناس ولانه لا يريد للامور ان تتطور وتزداد سوءا بينه وبين الاخرين فتراه معاتبا لابسط الاشياء.

لانه لا يرغب بتدهور الاشياء والعلاقة مع الاخرين.

فهو انسان غير عدواني ولا يرغب في العداوة ولا يتمنى القتال والمخاصمة.

فلو كان الخصام جزءا من شخصيته لما عاتب كثيرا ولما سعى لايقاف الخصام بعتابه ثم ان الانسان المعاتب انسان عاطفي يقيس الامور بشكل عاطفي ويحكم عليها باحاسيسه.

هذا النوع من البشر ترضيه الكلمة الطيبة ويونسه القول الصادق وتفرحه الابتسامة والمصالحة وبذلك يكون سريع التخلص من الغضب لا يملك حيزا لبقاء الحقد واختماره وتعاظمه في نفسه.

اما الانسان الذي لا يسعى لكسب ود الاخرين من خلال معاتبتهم على اخطائهم ويترك الامور تسير الى عقدة المخاصمة.

فانه انسان يحمل في نفسه استعداده لاحتواء الحقد وتناميه وتراكمه فهو لا يصرف هذا الحقد بالمعاتبة.

لان نفسه لا ترضى بالكلمة الطيبة وبالابتسامة الصادقة فهو يفضل بقاء الحقد في نفسه مستعراعلى ان يذل نفسه في عتاب لعله يحصل على كلمة ترضيه فتزيل حقده فهذا النوع يحتمل بقاء الحقد في داخله.

بينما النوع المعاتب فهو انسان لا يملك القدرة على بقاء الحقد في نفسه فتراه يتعب بسرعة وينهار فيذهب معاتب لعله يتخلص من هذا الحقد الذي يكوي قلبه وعقله.

من اجل هذا وذاك كان حديث الامام علي (ع).

قال الامام علي (ع) (التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة).

في هذا الحديث العلوي نجد توجيها نفسيا كبيرا ما بين السطور وقد يكون هذا التوجيه الضمني هو الهدف الاكبر من هذا الحديث اكثر من الاهداف المستقاة من المعنى الظاهر للحديث.

فالامام علي(ع) لا يحدد زمنا للتعزية بحيث يبطل بعده العزاء ولا يحدد زمنا للتهنئة حتى ينكفي الناس عن التهنئة بعدها فقد تكون الظروف حالت دون معرفة البعض بافراح واتراح الناس فانشغالات الناس كثيرة وهمومهم اكثر ومواصلات ذلك الزمان كانت معروفة قياسا بما نحن عليه الان.

الذي يريد ان يقوله الامام علي (ع) في هذا الحديث ان للتعزية غرض نفسي واجتماعي هذا الغرض تكمن اهميته في الوقت القريب للعزاء.

فالتعزية تخفيف عن المصيبة وصاحب المصيبة تهون عليه مصيبته عندما يعزيه الناس وكانما يقولون له (لا عليك فالحياة ارحب) ويقولون له كلنا نشاركك هذه المصيبة ونحس بألمك فتهون عليه مصيبته.

كما ان الانسان اثناء العزاء يكون مشغولا بالناس وبالمعزين ولذلك لا يدع مجالا لنفسه ان تظل بحزنها والتصاقها وألمها وذكراها بما فقدت، وعندما تنقضي الايام الثلاث التي هي مدة كافيه كي يستعيد الانسان توازنه النفسي والروحي فانه يكون اكثر استعدادا للاستمرار في الحياة وممارسة حياته الطبيعية واعماله اليومية لان وراءه عائلة واولاد.

ان العزاء في هذه الايام الثلاث يكون ضروريا وعاملا مساعدا لمنع تأثير المصيبة على الانسان كما اسلفنا سابقا.

لكن لو أستمر الانسان بعد هذه الايام في كل ساعة يقابله البعض ويعزيه بفقيدة مما يضطره لممارسة طقوس المجاملة النفسية معه خلال استذكار المعزي للفقيد وبالتالي استذكار صاحب المصيبة لفقيده.

ان هذه التعزية ستكون سببا معوقا للحياة وستجعل من هذا الانسان الدائم التفكير بمن فقد منكسرا وستسيطر عليه المصيبة مدة اطول مما كان من المفروض ان تنتهي بعد عودة الانسان لحياته العملية بعد ذلك الجهد الذي بذله في العزاء.

في الشطر الثاني من حديث ابي الحسن (ع) دعوة للاسراع في التهنئة.

فالانسان بطبيعته لا يفرح الا لو شاركه الناس فرحته فلا

فرحة بدون الناس.

بل ان الفرح بتعبير اخر هو احتشاد الناس والتفافهم حول بعضهم.

ان الاسراع في التهنئة تعبر عن عمق العلاقة بين الناس فالانسان بطبيعته لا يسارع في تهنئة اناس لا يعرفهم او ان علاقته بهم ضعيفة.

من غير المعقول ان يهنيء الانسان من لا يعرفه فالاسراع بالتهنئة تعبيرعن قوة العلاقة لانها تعني الاسراع في المشاركة مع من يحب حتى ان ظاهرة البشارة التي يمارسها الناس في مجتمعاتنا الاسلامية في الوقت الحاضر هي تعبير غير مباشر عن هذه الحالة الا وهي الاسراع في التهنئة.

فكثير من الناس يعطي مالا وهدية لاول شخص نقل اليه البشرى او الخبر السعيد لانه اول من شاركة فرحته.

لكن الناس نسوا هذه الاسباب واخذوا يمارسون عطاء البشارة كنوع من الجائزة على نقل الخبر السعيد ولكن الفكرة في بدايتها لم تكن كذلك لان الناس يعبرون عن قوة علاقتهم ببعضهم في اسراعهم في التهنئة ومن لا ياتي او يتأخر فهذا يعني ان هنالك مشكلة ما بينهم او ان هذا التأخير ناتج عن ضعف المحبة والمودة التي يكنها المهنيء لصاحب التهنئة.

من اجل هذا فان الامام علي (ع)لم يضع زمنا للتهنئة ولكنه يحفزنا في ممارسة التهنئة باسرع وقت لانها تعني شيئا لصاحب الفرحة وتأخيرها يترك اثرا سلبيا لديه.

كما ان مشاركة الناس افراحهم او التقائهم في الافراح يزيد الالفة والمحبة والتواد بين البشر.

فالاجتماع هنا خير وكثرته خير وقلته ضعف وقلة محبة ومن اجل كل هذه الاسباب يدعونا الامام علي (ع) بشكل ضمني ان نسرع قدر الامكان في التعزية وان نسرع قدر الامكان في التهنئة.

قـال الامـام علـي (ع) (اذا عاتبـت الحـدث فـاترك لـه موضعا من ذنبه لئلا يحمله الاحراج على المكابرة).

في هذا الحديث العلوي بعد تربوي عظيم يوجهنا فيه الامـام علي (ع) في اسلوب غاية في العلمية والعمـق فـي التعامـل مـع الاطفال.

لان عالم الطفل هو من اصعب العوالم دراسة وامكانية فـي الخوض فيه كما ان النجاح في التعامل مع هذا العـالم يعنـي بنـاء مجتمع سيد الاعراق والفشل في التعامل مع عالم الطفل يؤدي الـى كارثة اجتماعية لا تحمد عقباها ابدا.

الامام علي (ع) يرشدنا هنا الى نظرية غاية في النضوج في كيفية تربية الاطفال والاحداث وتوجيههم حتى ان اعظـم الفلاسـفة المتخصصين في عالم الطفل لم يختصروا هذه النظرية بسطر واحـد كما فعل امام الحكمة علي ابن ابي طالب (ع).

في هذا الحديث اكثر من موضع واكثر من اشارة واكثر مـن قضية فان فيه الاختيار بكلمة اذا وفيه المعاتبة والعتاب الذي يختلف عن العقاب والتوجيه وفيه الاحراج وفيه المكابرة وكل هذه الاشـياء النفسية تحتاج الى عمق كبير في التعامل بها او التعبير عنها.

يبتدأ امام الحكمة الحديث بكلمة (اذا) وهو هنا لا يضع العتاب شرطا في التربية.

لكنه يقول اذا عاتبت فعليك ان تعاتب الطفل بما يتفق مع اشياء كثيرة.

فهو لا يلغي العتاب ولكنة يحذر من استخدام العتاب بطريقة مطلقة دون احترام النوازع الاخرى كي لا يصبح العتاب سببا في ركوب الطفل او الحدث الشطط مما يجعله متمسكا بما فعل.

فالحدث بطبيعته هو ذلك الانسان القريب من المراهقة والرجولة فهذا العمر خطير جدا والحدث فيه يدخل مرحلة التكيف مع العالم المحيط به.

يبدأ هذا التكيف بالتقييد بتصرفات وكلمات وافعال الكبار عله يحوز على اطرائهم وثنائهم وعلى الاقل انتباههم.

فالهدف عند الحدث هدف نفسي وليس غريزيا او اقتصاديا او دينيا حتى لو كانت تصرفاته غريزية او اقتصادية او دينية.

فصلاته يكمن جزء كبير منها في ارضاء وطاعة الوالدين وفي اثباته لهم كونه ابنا بارا يجب عليهم احترامه بسبب هذا الشيء.

و ما دام الحدث يضع البعد النفسي الاعتباري في المقام

الاول من افعاله والتي يقع في كثير من هـذه الافعـال فـي الخطـأ والزلل.

فعلينا ان لا نعاتبه معاتبة العقوبـة او معاتبـة المجـرم او معاتبة الفاشل او معاتبة الخطاء دائم الخطأ.

فان هذا النوع من العتاب يضربه في صميم نفـسيته التـي تسعى لان تكون امام الاخرين نموذجا مقلدا صالحا يستحق الاحتـرام والتقدير والثناء بل علينا ان نعاتبه عتابا جميلا وذكيا وهذا العتـاب نضع فيه الهدف الذي كان يريده من الفعل وكي نكون واضحين فـي ذلك نضرب للقارىء العزيز مثلا لعلنا نقرب الصورة الى ذهنه.

فالاحداث في الكثير من الاحيان يحاولون استعراض قابليتهم الجسمية او الرياضية وقد يسبب هذا الاستعراض حـوادث عرضـية لهم ولغيرهم في داخل البيت او خارجه وهنا يجب ان يكون العتـاب بطريقة التوجية والتصحيح.

كأن يكون الكلام معه ان عليك ان تفعل هذه الفعلة الرياضية بالطريقة الفلانية لانها تتفق مع قدراتك الجسمية وان تفعلهـا فـي المكان الفلاني فانها ستوصلك الى الهـدف الجـسمي او الرياضـي الفلاني وقد تكون شبيها للرياضي الفلاني الذي نحترمه كثيرا.

بهذه الطريقة فان الحدث سيمتنع نهائيا عن ممارسة الفعـل الخاطيء الذي مارسه والذي سبب له بعض المشاكل ليس لانه خطا

فقط بل لان هذا التصحيح سيحقق له الهدف الذي جعله في الاساس يمارس الفعل الاول.

بذلك سوف نعالج الخطأ بل سيكون الخطأ طريقا لتصحيح مسار الحدث المستقبلي بل سيكون سببا في سلوكه سلوكا مغايرا تماما للسلوك الاول الذي اوقعه في المشكله.

اما لو قلنا للحدث انك مجرم وفاشل ومتقصد ومتعمد ممارسة هذه الافعال الرياضية داخل البيت لانك تريد ان تؤذي الاخرين لانك طفل فاشل عدواني .

فان هذا التوبيخ وهذا العقاب سيكون قاسيا جدا معه لانه سيحطم في نفسه هدف عظيم هو سر حياته في تلك اللحظات من العمر الا وهي محاولة لفت نظر الناس اليه كونه يملك طاقة معينة او مهارة معينة او قدرة معينة.

هذا الانكسار النفسي المفاجيء والكبير سيكون صاعقا عليه ولن يتحمله عقله الصغير مما يجعله يمارس رد فعل معاكسا يجعله متمسكا بالفعل وبنفس الخطأ كي يقاوم التجريح العنيف الذي حصل له في نفسيته وبذلك سيأخذ الصغير الكبرياء في نفسه الى التمرد على هذه الاراء ويجعله متمسكا بفعله الخاطيء.

لان هذا الفعل يعني له استمرار الحركة مقابل الكلام الجارح الذي حطم في نفسيته كل شيء والغى من قدراته كل شيء وجعله

اعزل من اي شيء.

بذلك سنخلق حدثا سيئا متمردا لاننا لـــم نحـــسن التـــصرف والعتاب معه.

هنا عليكم ان تعرفوا عظمة وعمق قول الامام علي (ع) فـــي هذا الصدد.

قال الامام علي (ع) (أزرى بنفسه من أستشعر الطمع ورضى بالذل من كشفه عن ضره ، وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه).

هذا القول العلوي الرائع يحمل عمقا هائلا في سبر اغوار النفس البشرية.

تلك النفس التي يعجز العلماء عن الوصول الى كينونتها فتراهم يطلقون العنان لعقولهم في تكوين تلك النظريات وهذه الفرضيات لعلهم يصلون الى شيء بسيط من القدرة على فهم النفس البشرية.

لذلك لا يمكن لعلم النفس ان يكتمل ابدا لان النفس البشرية متغيره متناقضه متحوله وفي كثير من الاحيان تخفي ما لا تظهر.

لذا يصبح من الصعب جدا معرفة حقائق الاحداث ومكونات المشاعر ونتائج الارهاصات .

ان ابا الحسن علي (ع) ذلك الرجل الذي اخذ من قبس النبوه ما اخذ والذي الهمه الله وعلمه رسول الله طرقا واساليب استشفه من خلالها ما هية النفس البشرية ومحركها وما هي الدوافع التي تتحكم

بها .

لم يكن ابو الحسن ابدا تلميذا لاحد الفلاسفة ولم يكن طالبا في اكاديمية علمية بل كان تلميذ رسول الله وحملة عطاءا فكريا من الله جعلته يتجاوز التجربة الحياتية والدراسة الاكاديمية في الوصول الى حقائق الاشياء ومكونات الاحداث .

الشطر الاول من مقولة أبي الحسن تؤكد على شيء جوهري فيه فهم لمكنونات النفس البشرية ولأثر الغرائز البايولوجية في تحريك هذه النفس حيث يقول (ازرا بنفسه من استشعر الطمع).

كلمة ازرا تعني حقر واذل وسفه نفسه ذلك الذي اصبح خلقه وسجيته واسلوبه في الحياة الطمع.

اي ان صفة الطمع تذل النفس وتحقر الانسان.

فالطماع هو ذلك الانسان الذي يسعى لأخذ الاشياء التي ليست من حقه او التي تزيد عن حاجته.

يسعى لاخذها بطرق غير كريمة وغير مستحسنة وغير اعتيادية وبذلك فان الطماع يمتطي كرامته ويمتطي نفسه من اجل الحصول على اشياء بسيطة في الحياة وقد لا تكون حياته وكرامته متوقفة عليها.

لا يعد الانسان الجائع الذي يعاني شظف العيش انسانا طماعا في سلوكه للحصول على قوته وحاجته.

فان حياته متوقفة على ما يحصل عليه وبذلك تنتفي عنه صفة الطمع وقد يكون هذا الانسان كريما سخيا عندما تفيض بعض حاجياته فيعطيها لمن يحتاجها دون استئثار وقد يكون هذا الجائع صاحب كرامة فلا يطلب الاشياء الا عندما يجوع.

لذلك لن يغلفه الطمع ولم يكن الطمع صفة وخلقا في طبعه .

بينما الطماع هو ذلك الذي تخلق بخلق الطمع والخلق هو الصفة الدائمة العامة المسيطرة.

فتراه عديم الكرامة سريع الذلة سريع التوسل ملتوي الاساليب لحوحا في كلامه.

لان نفسه صغيرة ووضيعة لا تحسب لردود افعال الناس اتجاهه من سلبية وايجابية.

فرأى الناس وانتقادهم وحتى اهاناتهم لا توازي حبه وسعيه للحصول على بعض الاشياء التي يروم الحصول عليها ولو كانت بسيطة.

اما الشطر الثاني من قول ابي الحسن علي (ع) (ورضى

بالذل من كشف عن ضره) والمقصود في هذا لشطر هو من سمح للناس بالتهاون معه او في الاساءة اليه.

فالانسان الذي يستسهل الناس اهانته وتجريحه وتقريعه يكون مذلولا مهانا.

لان الناس لا تحسب لكرامته شيئا ولا لرجولته شيئا ولا لكبريائه شيئا لانهم اعتادوا على اهانته والاساءة اليه دون رادع او خوف.

قد يقول قائل ان البشر عندما يخطئون يواجهون المهانة والاساءة من الاخرين.

لكننا نرد عليهم بان الكثير من الشجعان والشرسين والاقوياء يخطئون في كل يوم ولكن لا احد يجرؤ ان يوضح لهم خطأهم.

بل ان اغلب الناس يبررون لهذا القوي خطأه وقد يستحسنون فعله ويواجهونه بالابتسامة.

بينما الكثير من البسطاء اواولئك الذين سمحوا للاخرين بالتجاوز عليهم فاي خطأ صغير يقعون فيه فانهم يتعرضون لكل انواع الاهانة والاساءة والتقريع.

ان ابا الحسن لا يعطي هذه الصورة كحالة اخلاقية صحيحة بل انه يعطي نصحا وتوجيها الى الناس بان لا يتهاونوا امام كرامتهم وكبريائهم ورجولتهم وقبل ان يردوا على الاهانة فأن ابا الحسن يوجهنا بشكل مبطن بان لا نقع في الخطأ ولا نصغر انفسنا بل نكون اناسا مترفعين محترمين عالي النفس والهمة والكرامة .

قد يقول قائل ان ابا الحسن اراد في الشطر الثاني شيئا اخر الا وهو التشكي الى الناس وعرض مشاكلهم وما يحصل اليه من مرض بشكل يومي لكل من هب ودب.

نقول هنا ان هذا هو المعنى الظاهري ولكن ابا الحسن في كلماته يعطي معنى ظاهرا ومعنى مبطنا .

ابا الحسن يحذر بشكل واضح وجلي في هذا الشطر من كثرة الشكوى وعرض الاسقاطات او ما يسمى بالمصطلح الحديث نشر الغسيل الوسخ امام الاخرين.

فهي تجعل الاخرين ينظرون الى صاحب الشكوى بشيء من الاستصغار وشيء من التعالي وفي احسن الاحوال بشيء من العطف.

هذا العطف يأتي لاحساسهم بان هذا المشتكي اصبح ضئيلا وصغيرا امامهم مما استوجب العطف والتعاطف معه.

فاستمرار الشكوى تجعل الناس يملون هذا الشخص وينفرون منه ويتضايقون.

لان ما بهم من معانات تكفيهم وتأرقهم بالاضـــافة الـــى ان الشكوى تضيق النفس وتثير الحزن فيكون هذا الشخص غير مرحب فيه في اغلب الاحيان.

ان البكاء والشكوى والتمسكن تجعل الاخرين يتساهلون مـــع هذا الشخص ويتعاملون معه بشيء مـــن التبـــسط الممـــزوج بعـــدم الاحترام.

لان الاحترام يأتي اما من شخص نحتاجه او شخص نجله او شخص يتفضل علينا او لسنه او لشجاعته او لكرامته .. الخ.

اما الشكوى فانها تلغي كل هذه الاشياء مما يجعل الكثير من ذوي النفوس البسيطة لا تنظر الى هؤلاء الناس بشيء من الاحترام.

فانهم يعدونه انسانا بسيطا مهانا متعبا وبذلك يتعاملون معه تبعا لهذه المنزلة التي تخلو من الاحترام بل وتكون اقرب للذلة.

أما الشطر الثالث الذي قال فيه ابو الحسن (هانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه) وكلمة امر المقصود بها هنا هو جعله امرا،

فالذي يجعل لسانه قائده ينطبق عليه القول القائل لسانك حصانك ان هنته هانك وان صنته صانك. فالسان يعبر عن المشاعر السريعة المتأججه المتفجرة لذلك يكون هذا الشخص متعجلا متناقضا متطرفا شاتما وناقما وممتعضا تبعا للمشاعر التي يحس بها.

فاللسان عندما يكون سيد المشاعر فانه يجعل صاحبه في المهانة والمشاكل والمعارك والخصومات.

ان الذي يقصده ابو الحسن في هذا الشطر هو ان يكون اللسان عبدا مطيعا للعقل وللقلب.

فلا ينطق هذا اللسان بمعزل عن العقل وعن القلب فهاتان القدرتان لهما الامكانية والقدرة على هضم وفهم ودراسة الاشياء التي يواجهها الانسان ويخرج بنتيجة متعقلة فاهمة واعية تضنع في حساباتها منزلة هذا الشخص وما يحمله الاخرون عنه وما اعتادوا عليه منه وعلى ضرورة ان يكون فعله منسجما مع العقل والمنطق والدين واللياقة والقانون.

لذلك عندما تتأمر هاتان القوتان في الانسان يكون هذا الانسان مرموقا محترما ساميا مرهوب الجانب.

لان الذي يخرج منه يعبرعن هذه لصفات ولكن عندما يتأمر اللسان فان الانسان يهان.

قال الامام علي (ع) (ما كل مفتون يعاتب)

في هذا القول العلوي منحى جديد ودقيق يستوجب منا الحذر والدقة والوعي الشديد كي نفهم تلك المكنونات الهائلة التي ارادها ابو الحسن (ع) في قوله هذا .

ان قصد ابي الحسن بالمفتون هنا ليس المفتتن الذي افتتن بشيء أي اعجب به واخذ.

بل المقصود هنا هو الذي دخل في الفتنه.

أن موضوع الفتنة قد عالجه ابو الحسن في اقوال سابقة وطالبنا ان نكون بعيدين عن رأس الفتنه حتى لا نُستغل في التأجيج من قبل قادتها.

لكنه هنا ياخذ منحى جديد غاية في العمق والانسانية.

فيقول ليس كل من يدخل الفتنة يجب ان يعاتب او يحارب او يقرع.

فقد يكون هذا الشخص مجبرا عن دخول الفتنة او ان الظرف والحاجة والعمل والرزق والموقع الجغرافي جعله تحت لواء هذا

الزعيم او ذاك من قادة الفتنة.

فلو كان في مكان اخر او في ظرف اخر لما اصبح منظويا تحت اجنحة الفتنة .

ان ابا الحسن هنا يفرق بين من يدخل في الفتنة راغبا قانعا مؤمنا بهذا التيار او هذا الخيار او هذا الفريق لانه طامح لاهداف خاصة به او برهطه من خلال الفتنة او من خلال انتصار فريقه في هذه الفتنة .

هذا النوع من البشر سيء لديه سبق اصرار وقصد واضح يحركة للدخول في الفتنة.

فهو ابن الفتنة وهو معول فيها وهو ركيزه لها ودوره فعال كبير مؤثر واضح في هذه الفتنة ولم يكن وجوده فيها مجبرا عليه لحاجة انسانية مفروضه عليه .

بينما الذي يقصده ابو الحسن في عدم العتاب اي الذي يجب ان لا نعاتبه ونحاسبه على دوره في الفتنة.

ذلك الانسان الذي وقع تحت الفتنة دون اراده منه وتخطيط وسبق اصرار وحتى دوره لم يكن دورا مفصليا او رئيسيا في هذه الفتنة فبوجوده او عدمه فالفتنة باقية ومستمره فهو رقم بسيط من الارقام الكثيرة التي لفتها الفتنة .

بينما من يجب ان نحاسبه ونعاتبه هو ذلك الذي كان لوجوده تأثير واضح في الفتنة وعدم وجوده يعني انقصان واضعاف لهذه الفتنة.

آن عدم ابتعاده عن الفتنة واستمراره فيها كان يؤكد انه (متأدلج) اي ان هنالك فكر معين يحركه ويدفعه ويبقيه في هذه الفتنه.

هذا النوع من الناس يجب ان لايكون في نظر المجتمع بمستوى الانسان الذي خصه ابو الحسن بعدم العتاب لانه كان مجبرا ورقما في هذه الفتنة المفروضه عليه .

ان ابا الحسن هذا الانسان العظيم له اهداف ستراتيجية في مقولته هذه.

فهو يعلم ان الفتن حادثه في كل زمان ومكان ولكي لا تكون هذه الفتنة فتنا اخرى ولكي لا تكون حيثياتها سببا لحدوث الثارات والانتقامات بين البشر استنادا على المشاعر المتناقضة التي ولدتها الفتنه.

لذلك فهو يركز على محاربة وقود تلك الفتنة وفتح الفرصة لمن لم يكن قائدا فيها حتى يعيش المجتمع وراء الفتنة بسلام وتألف من اجل بناء المجتمع من جديد استنادا على جهدهم في محو اثار الفتنة واول تلك المحاولات في الاصلاح واعادة الحياة هو التماس

الحذر وتخفيف الجريره عن عموم الناس وجعل جريرة الفتنـــة تقـــع على نفر محدود من المجتمع الذين هم قادة ومحركو هذه الفتنة.

من اجل هذه الاهداف الانسانية والاجتماعية قال ابو الحـــسن مقولته العظيمة كي تكون لنا دستور عمل في حياتنـــا فـــي الوقـــت الحاضر.

نحن في العراق بامس الحاجة الى هذه المقولة الان.

قال الامام علي (ع) (صدر العاقل صندوق سره ،والبشاشة حبالة المودة ،والاحتمال قبر العيوب ومن رضى عن نفسه كثر الساخط عليه).

يريد الامام علي (ع) بهذا القول ان يقدم لنا نصائح اجتماعية بسيطة يمكننا من خلالها ان نحيا بسعادة وسلام ومودة بين الناس .

ان العيش بين الناس بمودة حلم انساني وهدف يسعى اليه البشر ويقدمون من اجله الكثير من الاشياء.

فبعض الولائم الباذخه تبغي المودة وبعض الاموال تبغي المودة وكثير من المساعدات يقدمها صاحبها للاخرين بهدف المودة.

هذه الاشياء يوضحها لنا الامام علي (ع) في مقولته التي يبدتدئها بكلام بليغ جميل عميق التحنيل النفسي والاجتماعي حول كتم السر او عدم اطلاع الناس على ما يحدث في خلد الانسان او ما يواجهه من مشاكل بيتية ونفسية وحياتية.

ان اطلاع الناس على عيوب الشخص ومشاكله تجعلهم يتعاملون معه وكانه يعاني حالة معينة وكانها المسير الوحيد لحياته رغم كونها حالة ضمن عشرات الحالات التي تجول في خلده.

لكن الناس لا يعرفون سوى هذه الحالة.

فلو اطلع الناس على التنافر بين الزوج وزوجته فـانهم اولا لن يفسرها حسب ما قالها . لهم الزوج اذ ستكون لهـم تفـسيرات سلبية اخرى وكلما شاهدوا عصبية معينـة منـه اتجـاه اي شـيء سيعدون هذه العصبية حالة مرضية متأزمة في داخله ودليل ذلـك ان زوجته تنفر منه ولولا هذه العصبية لما نفرت منه زوجته.

نلاحظ هنا ان اطلاع الناس على هذه المشكلة جعلهم يبنون عليها تصورات سلبية لاحداث بسيطة لا تستحق هذا التصور.

فلو كتم هذا الرجل اسراره في صدره لما استطاع النـاس ان يفسروا اشياءه البسيطة كحالات مرضية لولا هذه الاسرار.

فما بالك لو اطلع الناس على اغلب اسرار الشخص فان هذا الشخص سيكون سيئا جدا ومنبوذا امام الناس بـسبب تفـسيراتهم السلبية تجاه شخصيته والذي جاء من خلال اطلاعهم على اسراره.

لذلك اختصر ابو الحسن هذه الحالة بقولـه (صـدر العاقـل صندوق سره).

فالعاقل هو الذي يؤمر عقله والذي لا يرى الناس منـه الا عقلا راجحا حيث لم يجدوا فيه ثغرات كثيرة يمكنهم تفسير شخصيته تفسيرا سلبيا.

احد اسباب هذا النجاح لدى العاقل هو عدم اطلاع الاخـــرين على اسرارهم.

في الشطر الثاني من هذا القول العلوي يؤكد فيها ابو الحسن على ضرورة البشاشة واستقبال الناس بلا تجهم.

المقصود بحبالة المودة اي صيد او قناص المودة حيــث ان الحبالة هي شبكة الصياد التي يصيد فيها .

ان الوجه المتجهم الذي تقابل به الناس سيترك اثرا سلبيا في تعاملهم معك.

فالتجهم والتعبيس صفات مكروهه واشكال غير محببــه لان فيها قسوة وغضبا واستياء وقبحا لذلك لا يتوقع المتجهم والعابس ان يقابله الناس بوجه طيب وبكلمات مرحبة .

بينما الوجه البشوش يثيــر فــي نفــس المقابــل الارتيــاح والطمئنينه والمحبة والاستقرار.

لان المستقبل يتوقع ان هذا الوجه البشوش يحمل في نفسه حبا ومودة واحتراما واعتزازا بمن يقابلهم.

لذلك اختصر الامام علي (ع) هذا الموضــوع عنــدما قــال (البشاشة حبالة المودة) اي ان البشاشة شبكة يصطاد بها صـاحبها

مودة الاخرين.

اما في الشطر الثالث من هذا القول العلوي الذي يقول فيه (الاحتمال قبر العيوب) فالانسان الذي يحمل صفة الصبر والاحتمال على الاذى يمكنه ان يخفي كثيرا من نواقصه.

على العكس من ذلك فالانسان الترف الذي لا يتحمل الاذى او الصعاب وقليل الصبر فان نفرته ونزقة يجعله يخرج نواقصه وبذاءته امام اي اذى يواجهه.

مثال ذلك الجوع ففي الجوع اذى وليس كل البشر متساوين في تحملهم الجوع فالبعض يفقد اعصابه امام الجوع والبعض يتأفف والبعض يبدأ بالتعبير بكلمات نابية اتجاه هذا الموقف.

هنالك نفر لدية القدرة على تحمل الجوع فيبقى مسيطرا على نفسه واخلاقه ومزاجه رغم الآم الجوع حتى وان كان يحمل من النواقص النفسية والجسدية الشيء الكثير والتي قد تزيد على نواقص اولئك الذين لم يتحملوا الجوع.

فما هي الصورة التي يأخذها الناس عن هذه المجموعة سيكون الجواب حتما هو ان الذي تحمل الجوع كان امام الناس وكأنه شخص كامل عديم النوأقص والعيوب.

بينما اولئك الذين لم يتحملوا الجوع اخذ الناس عنهم صورا

سيئة مثل البذاءه والاعتداء والعصبية وقلة الاخلاق وضعف الشخصية.

كل هذه العيوب مرت واختفت ولم يطلع عليها احد لان صاحبها تحمل الالم.

هذا ما اراده الامام علي (ع) بضرورة الاحتمال في كل شيء.

اما الشطر الاخير في هذا القول فهو شيء عظيم رائع في التحليل النفسي حيث يقول ابو الحسن (ع) (ومن رضى عن نفسه كثر الساخط عليه).

ان اخلاقنا وشخصياتنا وصفاتنا وممزاتنا كل هذه الاشياء هي ما يحمله الاخرون عنا.

فالجميل ليس ذلك الشخص الذي يرى نفسه جميلا بل هو ذاك الذي يراه الاخرون جميلا والمثقف ليس ذاك الذي يظن انه امتلك كل شيء من العلم بل هو ما يتصوره الاخرون انه مثقف والشجاع ليس من يقول انا هكذا بل هو ما شاهد الناس حقا شجاعته .

لذلك نقول ان المعيار الذي يجب ان يضعه الانسان للحكم على نفسه هو كيفية نجاحه وايصاله لما يحمله من صفات جيدة خيرة يقتنع بها الناس ويشهدوا له بذلك من خلال الفعل والتصرف

ومن يحقق ذلك فان المجتمع يحكم عليه بما يحمله هو عن نفسه.

لهذا فان هكذا انسان لا يتصرف ولا يتكلم ولا يتحرك الا ضمن الحيز الذي يرى فيه الناس راضين عنه حتى لو كان مقتنعا بما يحمل فان هذا الاقتناع لا يكتمل الا عندما يضعه مرضيا للاخرين.

ان هذا النوع من البشر تقل عثراته واخطاؤه وصفاته السيئة لانه لايتصرف بما يتعارض مع المجتمع او يتناقض معه.

فهو راضي عن نفسه بالمستوى الذي يستطيع ان يرضي الناس عنه .

بينما هنالك اشخاص منعزلون بنفوسهم واخلاقهم وشخصياتهم من المحيط والعالم.

فتراهم في عالم خاص له اسسه ومعاييره واحكامه والواحد منهم لا يهمه ما هي معايير واحكام وقوانين المجتمع فتراه يتصور ان كل ما يقتنع به هو القناعة المطلقة التي يجب ان يقتنع بها الاخرون ما دام هو مقتنعا بها وهذا الشيء سيجلب له الكثير من المعارضين والساخطين.

لان للناس اراء اخرى منها العام ومنها الخاص فيرون رايه بعيدا عن رايهم الشخصي وبعيدا عن راي المجتمع العام.

كما ان الكثير من الناس يتصورون ان كل افعالهم صحيحه ما دامت تنطلق من قناعة شخصية صحيحة.

فتراه يفرح في وقت هو فرحان فيه بين النـــاس ويطالـــب الناس ان يفرحوا بفرحه وقد لا يكون لاسباب فرحة تأثير حقيقي على الاخرين فتراهم يسخطون عليه لانه يقوم بفعل غير مقتنعين به.

ان الجمال امر نسبي فكثير من الناس يتصور انه امتلك جمالا كبيرا في شكله وكلامه.

فتراه يعبر عن هذه القناعة الشخصية امام الاخرين وكأنهـا مسلمة مطلقة يقتنع بها الاخرون ايضا فتراه يقــع فــي الــسخرية والسخط من قبل الاخرين الذين يرون فيه انه يفرض قناعته علـى الاخرين والتي يرونهاغير مقتنعة.

لذلك قال الامام علي (ع) مقولته التي تؤكد على ضرورة احترام اراء الناس وقناعتهم قبل التحدث بالاراء الشخصية كي لا يقع البشر مواقع الشخط والسخرية.

قال الامام علي (ع) (عيبك مستور ما اسعدك جدك)

الجد هو الحظ وهذا الشيء موضع نقاش منذ الازل حول ما هية الحظ وهل هو رزق مقسوم ام صدفة متواتره ام قدرة شخصية ام فعل خارجي.

كثير من الناس يعدون الحظ قسمة يقسمها الله لبعض البشر يولد معهم ويموت معهم وهذا ما يتفق عليه اغلب الناس.

لكن البعض يتصور ان الحظ هو ذكاء شخصي يستغله الانسان في ظروف معينة.

اما الواقع والحياة فقد اثبتا ان الحظ ياتي لاصحابه دون وعي وذكاء منهم.

كما ان بعض من الناس يقولون ان الحظ صدفة متواترة اي ان تراكم الصدف الطيبة لشخص ما تجعل الاخرين يطلقون عليه كلمة صاحب حظ وهذا الراي يملك شيئا كبيرا من الواقعية والمنطقية.

مهما كانت الاراء حول الحظ فهو حالة تقدم للانسان خيرا اكثر مما يحصل عليه الاخرون بنفس الجهد وبنفس السعي.

فالانسان المحظوظ تفتح له ابواب الرزق وابواب العلم وفـــي كثير من الاحيان قلوب الناس.

لذلك يصبح هذا الشخص مقبولا مرموقا مرحبا به ينظر اليه كانسان موفق.

لهذا فان الكثير من نواقصه وعيبوبه لا يركز عليها النـــاس بل لا تكاد ترى لان بريق النجاح وضياء التحصيل تحجب العيون عن مشاهدة العيوب.

فالذي يكون محظوظا في كسب المال لا يرى الاخرون فيـــه عيبا خلقيا حتى و ان كان بارزا،هذا العيب تراه واضحا بـــارزا عنـــد الناس عند غيره ممن لم يكونوا محظوظين في كسب المال والرزق.

كثيرا من الناجحين في الحياة تراهم قليلي المخالطة والبعض منهم قليلي التأدب رغم ان هذا (النفر قليل جدا في الحياة) ولكن مع ذلك فان الناس لا يرون قلة ادب في هؤلاء الناجحين عندما يمـــرون على الناس ولا يرفعون التحية اوغيرها من الممارسات الاجتماعية.

فتراهم يقولون عنهم انه مشغول او انه منهمك باعماله او انه يركز ذهنه كله في النجاح والحياة وبذلك يبدأون بايجاد المبررات له لقلة ادبه.

بينما من امتلك قلة الادب مع قلة الحظ فان الناس يلاحظون هذه النقيصة فيه ويحددونها ويضعونها في اطارها الصحيح بان فلانا قليل الادب.

فما الذي جعلهم لا يرون هذا الشيء في المحظوظ ويرونها في قليل الحظ.

انها اقبالة الدنيا وقبولها وانفتاحها على الشخص الاول وانغلاقها وضيقها على الشخص الثاني.

فكثرة الصفات الخيرة والجميلة لدى الانسان تجعل صفاته السيئة ضعيفة وفي اسوأ الاحوال تكون مفردة صغيرة بين عدد كبير من المفردات الجميلة.

فلا تطغى عليه ولا تصبح اطرا تؤطره لان الدنيا اعطته اشياء كثيرة يشاهدونها الناس فيه فلم تعد صفاته السيئة بارزة للعيان .

اما قليل الحظ فان صفاته السيئة تكون بارزة واضحة لان الدنيا لم تعطه صفات اخرى سلسة وممهدة لذلك تكون صفته السلبية مفردة كبيرة وبارزة لانها مفردة ضمن مفردات قليلة في هذا الشخص فلا يمكن ان يستر عيبه.

في حياتنا اليومية نشاهد الكثير من الاغنياء او الذين انفتحت لهم الدنيا نراهم طبيعين في اشكالهم حتى وان كانوا دميمي الخلقة فيستقبلون استقبالا معينا وينظر اليهم نظرة خاصة.

فلم تعد الدمامة شيئا معيبا لان الدنيا اعطتهم ومهدت لهم اشياء كثيرة غطت على دمامتهم.

فمن منا يقول ان الغني الفلاني دميم الخلقة ومن منا يتشائم بوجهه القبيح عندما يراه في الصباح بل نستبشر بوجه ولقائه لانه رمز للسعادة والحياة

بينما الفقير دميم الخلقة لا نرى فيه الا دمامته ونتشائم من وجهه عندما نراه بل ونكيل الشتائم له في صباحنا.

فما الذي جعل القبيح الاول جميلا مقبولا والقبيح الثاني مذموما مدحورا؟

انه الحظ مفتاح الدنيا التي غطت على الاول بكرمها وفضحت الثاني ببخلها.

الدكتور علي النشمي

- أستاذ التاريخ في الجامعة المستنصرية/ بغداد.
- أستاذ محاضر في الجامعات العراقية والعربية والعالمية.
- كان معاونا لمدير مركز الدراسات التاريخية لأتحاد المؤرخين العرب في التسعينات.
- كتب آلاف المقالات الصحفية في الصحف العراقية والعربية والعالمية.
- قدَم عشرات البرامج الثقافية والعلمية في الإذاعات والتلفزيونات العراقية والعربية والعالمية.
- أصدر أول صحيفة مستقلة في العراق بعد أحتلال بغداد أسماها "فجر بغداد".
- أصدر أول مجلة عالمية للأطفال بأسم "فتى بغداد".
- له مؤلفات كثيرة منها ما مطبوع ومنها ما تحت الطبع في الوقت الحاضر.
- عراقيات.
- شيراتون ٩/٤.
- من هنا وهناك.
- قصص الأنبياء.
- صحابيات الرسول.
- في حوار الحضارات.
- عظمة الله في النبات.
- عظمة الله في الكون.
- عظمة الله في الحيوان.
- عظمة الله في جسم الأنسان.
- الجميل في تاريخ الغرب.
- فلسفة الحكمة عند إمام الحكمة علي بن بن أبي طالب.
- الإمام علي وأسرار النفس البشرية.
- الصحابة كما أفهمهم ١٠ كتب.
- مزارات آل البيت المجهولة في سوريا.
- شذرات من مهد الحضارات.
- لماذا العنف والتطرف في العراق.
- الرسول والمرأة والأسرة والجنس.
- الرسول والعلاقة بين الرجل والمرأة.
- موسوعة التاريخ ما قبل القرن العشرين.
- حدث في رمضان قبل القرن العشرين.
- موسوعة تاريخ القرن العشرين (يوم بيوم) ١٢ مجلد في ٣٦ جزء.
- تجليات الدكتور علي النشمي (سلسلة من الكتب).
- كتاب المُشرق في تاريخ العراق القديم (سلسلة كتب).
- الأحلام في القرآن والتاريخ والتراث والعلم.
- مجموعة قصصية بعنوان "الزلمة".
- ساطع الحصري ما له وما عليه في العراق.
- العرب ومؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩.



تصميم الغلاف تم في مكتب "صفر ـــ واحد"